حي الندم

حـــي النـــدم

روايـــــة

ميـريـام حنـــــون

حي النـــدم

اسم الكاتبة: ميريام حنـون
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: مروة صلاح
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى
رقم الإيداع: 25110 / 2018
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6610 – 50 – 7

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

01030365801

الإهـــداء

لشعبٍ ذاق الأمرّيْن في مواجهة الحُمم .

لأرضٍ رغم القصف المؤلم لها باقية شامة على خد الزمن.

لعينين غارقتين بالعسل زرعتا بداخلي الطموح والأمل.

لكاتب أوحى لي بفكرة إحياء حي الندم.

لعائلتي المرافقة لي لحظات تدفق القوة والوهن.

الفصل الأول

(١)
سجائر غير قابلة للبيع

وردني في أحد الأيام اتصال من مصدر رزقي يخبرني أنني تحت رهن ضائقة مالية، وأن نقودي ستنفد يومًا بعد يوم خلال مدة أقصاها شهر من الإنفاق المستمر، فما حدث لي بعد الصدمة لم يكن بالحسبان. رأيت أن امتلاكي لحياة الترف شهرًا كاملاً إضافيًا أمتع من تمديد المبلغ إلى ثلاثة للوصول إلى النتيجة ذاتها، وهي إعلان إفلاسي لأقع في فخ المحافظة. ما الذي سيحدث عند انتهاء المدة إن كانت شهرًا أم ثلاثة؟

أكملت الشهر على ما أنا عليه ليغدر الوقت بي وينفد مالي، ومن ذلك اليوم العصيب الذي كان منتظَرًا لم أعد أمتلك ما يكفي من المال لشراء بعض الطعام لعائلتي، فثمن الطعام الذي كان يكفي عائلة بأكملها

أسبوعًا آخر تم صرفه قبل قليل على لفافات سجائري باهظة الثمن.

أيقنت فداحة ما فعلت بعائلتي، ولم أعد أستطيع إعادة الوقت إلى الوراء. كيف أبيع سجائري وأطعم أولادي ريثما أخرج من المأزق؟! لو أوقعت نفسي في المأزق لحظة إعلامي بالخبر وبدأت حياتي من جديد برأس من المال الصغير لكنت أمتلك الآن بداية جيدة، أمّا وقد وصلت إلى هذه النهاية الوخيمة فأين يكمن الخطأ ؟ هل يكمن في عدم اتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب؟ أم في الاستمرار في الخطأ رغم الوثوق من أنّه خطأ؟ أم ربما الخطأ من لعنة الأنانية والانجرار إلى المتعة دون توثيقها بالخطوات الصحيحة؟ أن تصل إلى المتعة المطلوبة لإغناء الروح بالسير في الاتجاه الصحيح أفضل من الوقوع في متعة مدفوعة الثمن، يرافقها تأنيب الضمير لما أنت مقترف، وهذا ما حدث. احكموا بأنفسكم .

صباح جديد، لهفة قلوب، وقلوب استسلمت للهفتها مرارًا وتكرارًا دون فائدة، لِمَ يختار التفاؤل والنشاط الصباح ليأتيا إلى إنسان مظلم يوقظانه من نومه ويقويان فيه صحة البدن ليستطيع الصحو من جديد؟ لِمَ لا يأتي ذلك الشعور في قلب النهاروسط زحمة العمل، أو في المساء على وسادة التعب والعتب ليزيد الحماسة والقدرة على تخطي المشقات والقلق؟ لِمَ لفتاة في العشرين من العمر غير قادرة على التفاؤل، على عكس كهل قدير يجتاز سنوات الزمن، ويشعر بسعادة وابتهاج لامتلاكه حسابًا جديدًا على أحد مواقع التواصل مثلاً، وعدم قدرته على استعمال ذلك الحساب الذي تمتلكه الفتاة منذ طفولتها دون أي فرح في استعماله، أو بهجة تجوب عقلها لما تملّكت؟

هل السعادة محصورة بالفكر، أم أنَّ الفكر محصور بالتجديد، أم المال؟ هل من يملك المال في عصرنا هذا يملك السعادة؟ أم من يملك البهجة لاستقبال التجديد؟ تجديد الملابس، أو الأشياء، أو الأشخاص. ربما يكون تجديد الفكر هو مصدر السعادة.

هل تدور تلك الكتابات حول التملك، أم متعة الامتلاك، أم البهجة في الممتلكات؟

إذا تحدثت وسُلط قلمي على الأشخاص، هل لترابط الأفراد ببعضهم علاقة بعددهم، أم يجوز للإنسان أن يرى التجديد والبهجة في ذات النظرة كل يوم لذات الشخص؟ تُرَهات كثيرة تخطر لنا ولكن ما الفائدة؟ إنها مجرد كلام على حين غِرة. حين تجتمع الفتاة بالقدير صاحب النظارة السميكة فإنها ستظهر له التفاؤل المُبهم الخارج عن تملك تفكيرها، وهو سيظهر لها اليأس من تلك السنين التي لم تكن بذلك المخزون من البؤس دون التَّفوه بأيّ كلمة، فقط من نظرتها إلى ملامح وجهه الذي تعرض لعواصف الحياة وشدائدها عبر مرور السنين الكثيرة لتحفر داخل طيات وجهه قصصًا من التعب لا محالة.

ما الذي كان يخفيه القدير في طيات وجهه من حكايات؟ أهي ذات ما تخفيه تُرَهاتي ما وراء سطور مقدمتي؟ سأجسد عبر تُرَهاتي التشابه والتملك والتماس الفكر؟ بداية السنين ونهاية الزمن والانتقال

عبر تفاصيل من صلب الواقع السوري قبل الأزمة وبعد الحرب، سطور خلت من الراحة، خلت من الفراغ أخطاء مزقت الأوراق، وأوراق تلمعت برقًا، شوارع تمت زيارتها وإتقانها، وأماكن أُغْلِقت من وجهتي القدر وخلت من المارة. هل كانت تلك الشوارع تُعنى بالطرقات، أم بمراحل الحياة، أم بالاثنين معًا؟ هما على أيّة حال وجهان لعملة واحدة، فالكلام والفعل يحومان حول العرق والأرض، الجنس والتراب. القدير يكره كلمة موطن ويفضل مصطلح المنزل، أمّا الفتاة فتعشق الموطن عبر شخص ما، لو كان موطنه المريخ لذهبت تقدس هواءه إن وجد.

لا يمكن لوم النفوس؛ فما رآه الكهل القدير في المنزل وطنًا رأته الفتاة العشرينية من نظرة لمن أحبت، وكلٌّ منهما يملك مخزونًا من التعب ينتسب إلى حجم مكانته، فمشكلة تعرض لها القدير سببت الأرق ذاته لدى تلك العشرينية التي تعرّضت إلى مشكلة تفاقمت لديها لتخضع لتلك المعاناة، ولكن وجه التشابه كان في مقدار الوجع فقط، فلو سمعت الفتاة القدير لخجِلت

من نفسها لمبالغتها في الحزن، فلو سمع كلاهما صرخة أُم من قلب غرفة تسمى الإنعاش عند تلقيها نبأ موت وحيدها البالغ من العمر ثلاث سنوات، في ملحمة الدم المسفوك في دمشق يوميًا لاستسخفا الوجع الساكن في داخلهما وتحول عبر نقطة ألم إلى الندم؛ إلى تلك السعادة في تملك الصحة، والخجل من عدم القدرة على المساعدة لإيقاف نزيف دمها وجعًا لدمشق.

أما الزمن الجميل الذي أسمياه بزمن العار في أحد المسلسلات ليته يعود ليوم واحد، فالعار ليس عار الشرف، ولا الجشع، ولا تلك المناوشات المحصورة داخل جدران منزل ما. العار هو عدم القدرة إلى حدّ الألم، ألم النفوس والتراب، فما الذنب الذي اقترفه ترابك يا دمشق ليضم ثلاثة من الرجال تركوا وراءهم ثلاث عائلات بلا مُعين؟ ليمتلكوا بعدهم حسرة الفقدان تسرق سعادتهم وأمان مستقبلهم والحبل على الجرار.

نستيقظ كل يوم لنسمع أخبار الشهداء في كل الأماكن، اعتدنا على الاستطلاع يوميًا عن الموت المُحتم وكأننا نسمع أغنيات فيروز المعتادة مع قهوة الصباح،

وعدد القذائف، وأماكنها، وقصص مفارقة الحياة وما أكثرها! شيء يُدمي القلب قهرًا، شباب في مطلع العمر ذهبوا ضحايا للحرب هنا وهناك، وكم من أهلٍ تمنّوا الموت ولم يجدوه عند سماع فجائعهم!

هل تملّكَ القدير السعادة بعد الفقدان؟ لِمَ لم تتجاوز تلك العائلات الغريقة طعم الفقدان نفسه؟ أهي الحاجة؟ أم التماس الفكر؟ فالقدير أيضًا عانى الحزن عبر الأزمنة؛ لفقدانه ابنه الذي فارق الحياة؛ بسبب المرض الخبيث الذي قتل فرحته في تملك دفء المنزل المُسمى الوطن، علمت مؤخرًا عن تلك الحادثة وأنّ القدير ألمس ولده تفكيره إلى أن أصبح منزله داخل مخيلته، ليحدّ من شدة الحاجة وتملكه بعد مماته وقيامه إليه لإرضاء ما بداخله، وإكمال مسيرته بذكاء وتجاوز، وتلقي السعادة المجبرة.

خلل بعض الأفراد في عدم التجاوز يُحتّم التعاسة، والتماس الفكر يَذهب بالفرد إلى الراحة، فلديه التأقلم المناسب لإسعاد قلبه وعقله من تأملات جديدة. متى اللقاء يا تُرى بين القدير والعشرينية؟ هو

يحتاج لنبض جديد لإحياء ما تبقى من أحياء الندم، وهي تريد التماس الفكر عبر التجاوز والوصول إلى تلك المرحلة التي يمتلكها القدير من تفاؤل وتجاوز ونضج، وإكمال ما أتقنه من حُبّ دمشق وتجاوز عتبة الألم.

الفصل الثاني

(٢)
تمثيل النوم

التفتت العشرينية ذات يوم إلى سماء القدرموجهة بكاء تخلله صياح غير مجدٍ لوسادةٍ خلت من ساعات النوم: " ليش أنا شو عملت يا الله؟ ليش هيك عم يصير معي؟ " ثم دفنت رأسها هروبًا معتقدةً أنَّ الهروب يأتي من تمثيل النوم، ولكن ما الذي نتج عن هذا المشهد؟ فهي بعد ساعاتٍ قليلة صحت من تمثيلها وأكملت معيشتها.

كلام مرهق، قارئ ضائع، هل الخلل في الاقتراب مثلاً؟ حتى الشمس نفسها لو اقتربت من الأرض أكثر لأحرقتها، علاقات لم تمد الأذى إلى ممتلكيها عبر مرور الوقت، بالوصل دامت ودامت، وعلاقات كانت أشبه بمد الرئتين بالهواء توقفت، أو تركت غُصة أُسْمِيت بغُصة العمر، أي علاقة امتلكتِ أيتها الشام بينك وبين

هوائك لتُحرقي كل يوم على يد أبنائك؟ تكرار المشاهد، تكرار الألم، تكرار الوقت بالوقت عينه فما التجديد إذًا؟

أرى من نافذة منزلي كل يوم ثلاثة أطفال مستلقيين جانب حاوية القمامة لإثارة عطف المارة، دُفع ثمن هذا الاستلقاء، الوجع والدمار لأجسادهم ولعقولهم فقط من أجل بعض المال، ولم يعلموا ما اقترفوا من جهل بحق ذواتهم وبحق المارة، وكم من نفسية أُحْبِطت عند النظر إليهم! لأشاهد مشهدًا آخر متكررًا أيضًا لسيارات أجرة متلهفة مسرعة إلى مشفى التوليد الحكوميّ المجاور لمكاني؛ حجم صراخ امرأة حان موعد ولادتها، ذات حجم صوت تنبيه السيارة المتواصل غير المتوقف لفت انتباهي تعليق لامرأة أعرفها على الفيس بوك لصورة طفل: "يا لله شو حلو الله يحميه"، كانت تملك من التمني لخروج طفل من أحشائها واحتضانه ما تمنى القدير من علاج فعَّال لِولده يبقيه على قيد الحياة، وما النفع من التمني إذا لم يوضع حدّ لشلالات الدم في بلدي؟ لو بقي الابن هل يضمن له القدير البقاء والاستمرارية؟ أولو رُزقت تلك المرأة بطفل

وذهبت به إلى مدرسته، هل ستضمن أن يعود إليها على قدميه، مثلما حصل اليوم في دمشق عند وقوع قذيفة صاروخية في إحدى الساحات الممتلئة بانصراف طلاب العلم؟ لتعود الفتاة إلى حضن والدتها دون قدم: "أكلت شظية برجلها يا حرام، منيح يلي بقيت عايشة" (إيه والله منيح إنها بقيت عايشة) هي الجملة التي خرجت من خاطر أولادك يا شام؟

أيجُرّقلمي الوجع، أم الوجع يجُرّقلمي؟ أعلمتم ما في حالي الآن؟ والله العليم إنني أحتاج إلى بطاقة النجم ناصيف زيتون في أحد أكبر فنادق دمشق، لأخرج من حزني وأرقص وأنفق من النقود في ساعتين ما يكفي عائلة بأكملها لتأكل شهرًا كاملاً، وأنا أستمع لأغنيته الشهيرة (سوريا راجعة شايفها بعيوني) وصوت يهمس لي: لوين راجعة؟ للماضي؟!!

ما يخطر في خاطري من سؤال: "كيف تعود سوريا وثلاثة أرباع من امتلكوا البطاقات اعتمدوا الأزمة مصدرًا لرزقهم؟ كيف لتاجرٍ كبيرٍ مثلاً كانت حيلته في الماضي غير البعيد تقتصر على سيارة نقل غاز مع

كمية قليلة من الإسطوانات فقط، أن يملك خلال سنتين أحد أكبر مطاعم دمشق؟ استطاع من خلال مردوده ليوم واحد (فتح طاولة من هون وهونيك) لاثني عشر شخصًا من عائلته، أي مصروف اثنتي عشرة عائلة شهرًا كاملاً دون أن يهتز له جفن.

تُرَهات مجرد تُرَهات، من أنا لأحاسب إذًا دمشق ومكانتها كوالدة تغفر لأبنائها من حق إخوتهم على سبيل المثال تسوية الأوضاع فهل لي الحق بالتحدث فقط؟ تسوية أوضاع المجرمين الملعوب في عقولهم أو غير الملعوب، إن كان الجُرم صغيرًا أو كبيرًا. أهو حق لأم لمخافتها من الظلم أم ذهب النادم (بعزا) المجرم غير التائب في خطأ من الغفران لقلب أم أحاطت أولادها؟ يا ألله كم تجسَّد دمشق تلك الوالدة التي حرمت ابنها ضحكته خوفًا عليه، وعندما ابتسم أحضرت الدواء، ومع فتح فمه وصوت ضحكته ألقت الدواء داخله، لكنّ هذا الدواء غير مجدٍ، فالدواء المعترف به في زمانها ليعالج ويحد الألم لم يعد يحد شيئًا عبر الزمن وبعد التطور. فما حصلت الأم إلا على الصراخ والبكاء، وما

حصل الولد على الدواء والعلاج، انتابه فقط الخوف من السعادة في ذلك المنزل.

ما قصة العشرينية من بؤس؟ في زمن ركع الحزن لأحياء دمشق فقط خرجت يومًا من أحد المقاهي تقول لحبيبها: (مشتاقتلك كتير) كيف يطرق الحنين بابها وهو جانبها؟ أيعقل من كان جانبها كتلة جسد؟ وما الحال التي أوصلت حبيبها إلى العدم؟ شوهدت نظرات من غيومٍ غيرةٍ ستمطر بكاء حين تصل لخُلوتها بذاتها فقط، لحظة مرورها بشخصين كانت يداهما تتشابك ويتبادلان التهامس في الطريق. أهي سطحية إلى تلك الدرجة أم عادت المصادفة بها إلى الوراء؛ لتُؤخذ ذكرى من قلبها ؟ لحظة وصولها إلى المنزل ودفن رأسها من جديد شعرت بالبرد القارص، فغطت وجهها بغطائها الصوفي السميك مع العلم أنه تم إلغاء ساعات التقنين، ودمشق الآن تنعم بالكهرباء ومنزل أيّ عائلة يملك أمّا كدمشق درجة حرارته فوق السادسة والعشرين، وحتى سنين عمرها في ذات الدرجة فلِمَ البرد ؟ نهضت من كابوسٍ مُحتّم تقول لحبيبها:

- "متذكر هداك اليوم؟"
- "أيّ يوم؟ أنا اسمي نسيانو"
- "يوم لكنا رفقا، وكنت مسافر"
- "ما بدا تخلص هالسيرة بقا؟"
- "أجا يوم عيدك وما لقيت ولا صورة إلنا سوا مع إنو كنا نقضي الأيام كتفي عكتفك وإيدي بإيدك. متذكر وقتا شو قلتلي؟"
- "رجعنا للحزازير؟ شو قلتلك؟"
- "قلتلي وقتا: ما كنت بحبك لهيك ما بخاف أفقدك أو أتفرج عصورتك شي نهار".
- "صح هاد يعني إني شغل رومانس وبحبك".
- "لا. هاد يعني خلصت السيرة".
- "كيف ؟؟"
- "بكرا عيدي".

الظاهر لي أنّ الفتاة التصقت حتى الاحتراق، البرد عشش في جسدها الصغير، أي بهجة تستطيع تدفئتها بعد الآن!! حتى المنزل أو الأم غير قادرة على فعل شيء لها.

الفصل الثالث

(٣)
على العمر مزعلها

استوقفتني بعض كلمات من أغنية العملاق وديع الصافي من ((سيرة حب)) مخاطبًا السيدة فيروز قائلاً لها: ((على العمر مزعلها))، مين مزعل مين؟ والندم كيف ابتدى وانتهى عند القدير؟ أرى من النضج ما يُحيي الأمل، مدرسة من الحياة في فن التجاوز. لِمَ الندم؟

إذا قلَّ الباقون وكَثُر العابرون قلّ مقدار الصداقة ومُنِع أي التصاق، في حين تلمع نجمًا في سماء المعارف راقب الحياة عن كَثَب من خلال أفكاره دون اعتماده على الأشخاص والأحداث. شارك الناس خصوصية حياته ليمنع الفضول من أذهان محبيه. اختار مساعدة الناس لأنّه نقطة قوتهم لحظة الضعف. تغبط سعادة لمكالمة الغرباء، غرباء الروح ورسم الطريق الصحيح

إليهم في حين الخشية منهم ومن أفعالهم السابقة. جاور رمال الصحراء التائهة عبر الاسترخاء بلهيب الياسمين. قدَّم التضحية بنفسه وبولده دون مقابل إلى كل من استحق ممتلكاته. أبحر في بحار الثقافة حتى بكى ندمًا على حال المراكب .

رنت على مسامعي كلمة الكلب الأسود في البيت الأبيض أكثر من عشرين مرة، وعندما رموا الأسود وأتوا بالأبيض تلون جواري من بلاد الناقة ما قهر عزيزًا وسجن وليدًا، فلِمَ العنصرية إذا كانت كُلّ الأعراق تؤدي بنا إلى نفس المكان؟

ما رأيك أيها القدير من وقار اقتنيته عبر المشيب؟ أبراج بلاد الشرق مباعة، وأزمة مالية غسقت على أصحاب العود وعلى أصلهم ولحقت الجذور، وغاز سُفكت منه رائحته لتخنق أصعدة دخانِه ساحات بيروت اشتعالاً لوقت لو استطاعت فيه امرأة يمنية عبور المسافات لالتجأت إلى حيّ الندم، مكان الضيافة الوحيد؛ لتحمي أولادها من الهدير.

خمسة مصريين تبرأ منهم وطنهم من قديم الزمن، قاموا بسرقة خمسة وعشرين مليون دولار أمريكي من أحد بنوك روسيا (قامت الدنيا وما قعدت)، لكنَّ عرقنا المتكئ على ضفة الفرات لم يذكر من خسارته شيئًا إلّا في كرة القدم.

من جديد الأرض المقدسة مكان وطئته أقدام الأنبياء، لما تحولت إلى الطاحونة الحمراء التي أودت بحياة شعب عشق ترابها ندمًا. هنا مسقط ابتداء الندم ومكان وجودي اختتامه إلى الآن. مكان وجودي الآن قلب العاصمة في شارع مزدحم بالمارة سمعت فتاة تقول لصديقتها: " قلتلو بدي عيش كل العمر بحالة حبّ وغرام يا إما لساتنا على البرّ، قال لي: ماني مصدق نتجوز بدي خلي كل أيّامك عسل ".

من منا يضمن مشاعره لبضع دقائق فقط أم هي السخرية والكذب ؟ هل أنت ذاتك منذ ولادتك إلى الآن؟ بالنسبة لي مزاجي يتقلب كل نصف ساعة، أحيط نفسي بدائرة دائرة كبيرة أتنقل خلالها إن كانت أفعالي سامية أو منحطة، وأيضًا في الحب والاشمئزاز هناك الشيء

ذاته، أرغب باحتساء الشاي مثلاً وأنا باتجاهي إلى ذلك الركن المسمى (مطبخ) تخطر ببالي رائحة القهوة، فأتوقف عن سكب الشاي لاعتقادي أنّ رائحة القهوة كافية لتحسين مزاجي وامتاعي، وسرعان ما أسكبها وأبدأ بتذوق طعم مرارتها، أوبخ نفسي لعدم الرغبة في شربها، فألقي بها إلى جانب الشاي بتلك البساطة، لم أعد أرغب بالاثنين معًا، وأصبح مزاجي أسوأ مما كنت عليه حين اتخذت قرار احتساء شيء لذيذ يمتعني، تلك هي الحياة عوجاء، عرجاء، دوارة غير مستقيمة، تشبهنا الى أبعد الحدود.

لو لم يكن الشاب متلهفًا شوقًا لنيلها وقتها أكان وعدها بالعسل، وهو يجهل متاعب المستقبل؟ ولو دقّ الجواب لحظتها مخيلته وقال لها: "على حسب السوق منسوق" أكانت تخلت عنه في زمن ندرت فيه قدرة الشبان على الزواج؟ الفتاة كانت مستسلمة لشاب راهنت برسم خطا حياتها بين يديه؛ ليحدد مصيرها من الفرح أو الحزن، وهي بدورها فرضت الشروط الكثيرة؛ لتبدأ بعد حين بإلقاء اللوم عند أيّ خلل يصيب كلا

الطرفين وكأنه أصابه وحده، وفوق هذا كله تقف ضده معتمدة صورة نقل الكلام القديم: "ما قلتلك بدّي عيش بحالة حب متل روميو وجوليت؟ شو هالعيشة المقرفة هي؟".

يا ليتها تكنت بشكسبير معتمدة لذات. حتى عند موته كانت وصيته تنصّ أن لا يقترب أحد من قبره عندما قال: (ملعون من طقطق عظامي أو اقترب من حفرتي) قاصدًا حرية رسم ما بعد موته حتى لينعم بخصوصية رسم الخطا لمسيرته وما بعدها.

ما قصة جيلنا هذا مع العنوسة ؟

مشهد كوميدي من المَلهاة الهادفة لعمرو مسكون، شاب اعتمد التأليف والتمثيل والبثّ عبر اليوتيوب لمقاطع مضحكة ليكمل علمه ومصاريف عيشه، أوضح بشكل ساخر معاناة مرور فوات الأوان لمجتمع تقيد بمعدل سنين الزواج، رأينا من خلال الحلقة الهزلية أنّ الفتاة تريد زوج صديقتها كبير السنّ دون شروط لتقاسمها إياه، ذهبت تعرض عليها

الموضوع ولكنّ حظًا أوفر في المرة القادمة؛ كان لديه أربع نساء في كل غرفة اثنتان.

أين أبناء النانرج؟ هجروا جذورهم ؟ دمشق تحيا بأبنائها من محييها بعد غد ؟

الفصل الرابع

(٤)
الانتماء

هجرة الشبان إلى الخارج هاجس مخيف، هذه الظاهرة متزايدة بشكل متفاقم، آثارها السلبية بدأت تؤثر في البلد أرضًا وشعبًا وحكومة، اغتراب الكفاءات العلمية والفكرية، ويكمن الخطرمن حرمان تلك الأدمغة والخبرات اللازمة في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية، والثقافية، والتربوية، والصحية.

في السنوات الماضية كان الدافع الأكبر للهجرة هو تأمين العمل، ولكنّ خطرها تجاوز الحدّ بأضعاف في ظل الأزمة، وجدوا في الهجرة سبيلاً للخلاص من مخاطر الحرب، بالإضافة للالتفات إلى مستقبلهم، لتتم بعثرة العائلات هنا وهناك، وتشرد الأبناء، التكاليف الباهظة للهجرة الشرعية أودت بغرق الكثير من الشبان عندما لجأوا إلى المغادرة عبر المهربين، وأحيانًا العائلات بأكملها

لتطفو أجسادهم منحنية لها رمال الشطآن. أمّا من وصلوا إلى مرادهم وهجرتهم فعاشوا تحت كنف سقف الغرباء، ولوهبط سقف التراكميات السورية فوق روؤسهم لظلّ أشرف لهم من مذلة المعيشة؛ فمن هي ماما ميركل؟ ومتى تضجر منهم وتنتهي مصلحتها من يد عاملة امتنت لقشور المارك لتعيدهم إلى الأم الحقيقية؟ أمّا الأدمغة التي حُرمت البلد الاستفادة من خبرتهم المكتسبة قلبًا وقالبًا، فقد خرجوا من تراب الحدود السورية؛ لينالوا المناصب والمال وتلقي شعور الأهمية لإبداعاتهم عكس ما جرى في مهد الحضارات.

الأم الآن مع مريضها ليشفى دون مراعاتها الضجر لتأزم بقية الإخوة، الضجر نفسه انتاب العشرينية لتبدأ بتقليب الماضي صفحةً تلو أخرى، لتستعيد المشاهد التي أحيت قلبها حبًا للحياة في زمن لو عاد لكانت أشبه بطلق ناري في قلب الهدف. قال لها ساجن فكرها في أحد الأيام : سأراهن بك الجميع، أرى مستقبلا باهرًا في انتظارك، سأمدّ يد المساعدة، أرغب بتتبع خطواتك لنصل معًا إلى كل ما حلمنا به، أنت

قطعة من قلبي، وأنا مهتم بنجاحك، طامح به حتى أكثر منك.

واستوقف عبر مدّها بالدعم لانشغاله بالندم لتبدي تراجع الفكر، وانشغالها بمتاعبه لتستيقظ في يوم جديد مخيّرة بين الانهيار الكامل أو الهجر، لتجبر عنوةً على التبرع بأحلامها أو التخلي عن عشقها، والراحة التامة لمجاورته، هي لا تستطيع المغادرة، فأي حبّ جديد يمكنها استقباله لتنعم بما نعمت به عبر المختار من الأنسب لهوائها؟ استبعدت الهجر لتخبره في إحدى مقطوعات الأسى المتكررة التي مرت بها قائلة :

ألم تعد بحاجة إليّ ؟ قل لي بربك كيف أكمل أيّامي إن رحلت؟ هل تستطيع أن تتركني بمفردي ألا يراودك الخوف من أن يغدر الألم بي عند رحيلك؟ ألست أنت نفسك من قلت لي لآلاف المرات أن حياتك مرهونة بقربي، وأنَّ الموت يحيط بك عندما تشتاقني ؟ ما الداعي إلى كل هذا التغيير؟ قل لي الحقيقة، أيعقل أنك واقع في حبّ امرأة غيري وذاهب باهتمامك إليها ؟

ملأته حزنًا دون نتيجة أو رجوع، فدمشق لم تستطع حمل أدمغتها والصعود بهم في وقت أمتلكته لندم الدمار المرافق لها، فمن امتلك الصبر راهن بالأمل وهجر الأهداف؛ ليمتزج مع ألحان الأذى فداءً لتضحية عميقة أوقدها حبًا بدمشق وشعبها، ومن يرمِ بنفسه يرمِ البحر به، لم أنكر يومًا حجم الإرهاق والأذى الذي مرّ فيه الشاب الهاجر لمعشوقته، ولكن للهجر مساوئ تجعلنا نقع في مصيدة تُسمى بتأنيب الضمير والموت البطيء، فمن اقتلع جذوره من الأرض تيبس مع مرور الوقت ندمًا، ولو عادت لحظة هجره لارتمى يُقبِّل تراب خطاكِ ليلغي بعد لجوئه لغيرك لعنة الأنانية من تلك المفردات: " أنا ومن بعدي الطوفان ".

أيقن الطوفان الحقيقي عبر خلع ملابسه من لحظة هيجان الحمم داخل بركانه، وذات يوم رنّ هاتفه باسمها، وإذ نظر بطرف عينيه إلى ما كتبت موجهة له صاعقة سُحقت وسط قلبه، راوده شعورلا يُحسد عليه، كأنه يرى نفسه مرميًا في البحر يغرق لكنه مكبل لا يستطيع السباحة، تلك الدقائق من الاختناق لم

يستطع الاستفادة منها بشيء إلّا إعادة قراءة كلماتها ليزيد جاذبية سحبه إلى القاع، وكان المحتوى : " كنت أشعر حين أراك أنّ كل شيء جميل، كلّ شيء خُلِق لإسعادي، مرّ وقت طويل وقبح الأشياء يلاحقني حتى أصبحتُ على يقين أنَّ كلّ من حولي يسعى لدماري، تبًا لتلك الأغاني والطرقات، تبًا لذلك الكرسي الخالي أمامي، تبًا لتلك المرأة داخل السيارة الفاصلة بيننا، التي لم تعد تعكس رمشات عينيك لي، التي تعكس لي فقط غربة الروح.

إذا عدنا للتشابه أُلقِي اللوم على الفتاة المارة في الطريق لعدم استقلاليتها ولوضعها خطة معيشتها رهن الشاب اللاجئة إليه، وذات الفعل أبرره للعشرينية من حيث اللجوء إلى حبيبها والاعتماد عليه كسند، لأنّ تلك التناقضات تختلف، فالاعتماد على السند يُطلب في كثير من المواقف، الاستقلالية شيء والمدّ بدعم شيء آخر.

ركبت إحدى الطائرات الصغيرة غير المعتادة؛ كرسيان وممرّ بينهما، وعند الإقلاع أردت أن أرفع الطاولة لاستخدامها كي أكتب بعض النقاط، موقع الطاولة تحديدًا كان أسفل النافذة، وأنا اعتدت عليها خلف كرسي الراكب الجالس أمامي، مددت يدي لسحبها لكن لم تفتح كانت عالقة، صديقي يجلس جانبي في الجهة المقابلة، تشابهت أوضاعنا، سحب طاولته دون مشاكل. لِمَ أعاني وطاولتي عالقة؟ مما زادني إصرارًا على مواجهة متاعبي، أتى إليّ يحاول سحبها بقوة فاستوقفته خوفًا من خلعها، واعتمدت الشخص المناسب لمدّ يد المساعدة لي منادية مضيفة الطائرة، وإذ بها تقول لي: اسحبي قميصك لتقرأي اللائحة، وعندما سحبت ذلك القميص اللعين رأيت خلفه تحذيرًا بالخط العريض: (المقبض لاستخدام مخرج الطوارئ) ومكان جلوسي لا توجد فيه طاولة. كيف هذا؟!! وما الذي حدث؟ الموت المحتم كان ينتظرني لو اعتمدت الذات؛ فالقدير عرقل لي فتحها، لبرهة ما كان فعله يستهويني على العكس لومي وقع عليه لسوء حظي.

العشرينية كانت تمتلك الاستقلالية المعرقلة إلى حدّ ما فقط؛ فهي تقوى بسندها لخوفها من الأشياء المخبّأة المعرضة لها في حال غيابه .

دمشق قبل الأزمة: كلمة دمشق تعني الأرض المسقية، وتعود تسميتها لموقعها في سهل خصيب يرويه نهر بردى مشكلاً الغوطة. على القارئ أن يعود إلى لخلف ناسيًا نهر القُمامة ومكان سفك الدماء، فإن الغوطة مكان لينعم بالذكرى الحارقة.

كانت سوريانا تمتلك من أبناء أربعة وعشرين مليون نسمة، تناغم الطوائف والأديان على مستوى من الرفعة فيما بينهم. اشتهرت دمشق بالمدينة التجارية، فموقعها الجغرافي ساهم في تسميتها طريق الحرير، مما لعب دورًا مهمًا في إغناء المدينة وتحويلها إلى مقصد ثقافي لتُكنى أيضًا بالياسمين، حظيت باهتمام الأدباء والشعراء، واحتلت مكانةً مرموقةً على صعيد الفنون والآداب والسياسة. باختصار: ما قاله الحموي فيها يفي بالغرض: ((ما وصفت الجنة بشيء إلا وفي دمشق

مثله)). هنا بدأت المطامع والجميع يريد تخبئة العسل وليس التمتع بمذاقه.

مررنا بالعصر البرونزي قبل أن تقطف التفاحة، لنغادر ما وصف بالجنة والالتجاء إلى العصر الحديدي، سأذكر ولدًا من زمن كان يُكرم من والده عند إعطائه خمس عشرة ليرة، ذاك الطفل أخرجه والده من المدرسة لإتمامه الثانية عشرة من عمره، وألقى به في إحدى ورشات نجارة الخشب لصاحبها قريب العائلة، ليقضي ساعات يومه في العمل الشاق المتعب ليتقاضى مائة ليرة في الأسبوع، ومرت سنتان على هذا المنوال يذهب الفتى إلى أبيه في نهاية كل أسبوع ليضع في قبضته تلك المائة؛ ليشارك عائلته في مصاريف يومية لاحتياجات المنزل. يأخذ الوالد المائة بيمينه ويخرج خمس عشرة من يساره معطيًا إياه كإكرام لمجهود بذله، جاء يوم وأتم إنهاء عمله في ورشة النجارة؛ لامتلاك صاحبها عملاً في الخارج، فذهب به أبوه إلى صائغٍ صديق للعائلة ليعمل لديه في تركيب الأحجار، بعد أن امتهن النجارة، ليبدأ سنتين إضافيتين في إتقان مهنة

جديدة، ولكن بأجر أعلى وإكرامية زائدة تكمن في ربع الاستحقاق، إلى أن أتى الشاب إلى أبيه بعد سنة ونصف تقريبًا شاكيًا له من وجع في عينيه. أخذه إلى الطبيب فنصحه بطلب الراحة لعينه من التدقيق المستمر، وهما في طريق العودة إلى المنزل استرقا النظر إلى داخل أحد المحلات، وإذ بدهَّان غاضب لسكب الدلو على الأرض موبخًا مساعده وطاردًا إياه إلى الخارج، فخطر للأب أن يضع ابنه مساعدًا له، فطرق الحديد قبل بروده دون الرجوع إلى الشاب؛ استغل الفرصة سائلاً إياه: ((بدك شغيل؟ ابني ذكي وبيلقط بسرعة)) فوجئ الشاب من تصرف أبيه لما اقترف من انتهازواستغلال له، وللمصادفة ردّ الرجل قائلاً :((يا ريت والله، لازم أسلم الورشة بعد ٣ أيام ومحتاج شغيل يساعدني ما بقدر لحالي)).

مرت الأعوام والشاب يتنقل من مصلحة إلى أخرى دون امتلاك المستقبل. كان فقط مؤديًا لواجبه تجاه عائلته، فخلال كلّ هذه السنين لم ينل إلا شعرة من أذن الجمل، وعند بلوغه الثلاثين من العمر رأى في

تمرده سبيلاً للهروب، ليخرج عن المألوف تاركًا وراءه انقسام عائلته وتشتت إخوانه إلى قسمين: قسم تحت كنف الوالد ورعايته ومنهجه في السياسة التي نصَّت على التحام الكل في واحد والواحد في الكل، وقسم آخر تلذذ بالهروب من السيطرة ليجد نفسه دون مأوى، والسيطرة بشكل غير مباشر على ما تبقى من إخوة دون مساعدة، عرضةً لضيق في المعيشة محتم. هل الشاب الأكبر من قطف التفاحة وأرسل بنا إلى النار أم سيطرة الوالد على الجميع حرصًا على مصالحهم؟ لِمَ لم يرضَ بالإكرام القليل المعطى له لحماية الجميع من المعصية؟ لِمَ أنكر الخبرة التي اكتسبها بفضل والده عبر رسمه لخطا الحياة المليئة بالدفء؟ ولكنّ اللوم يُلقى على الأب أيضًا لعدم محاورته وتلبية ما يرضي طموحه والوصول به بدلاً من التشتت والضياع وبؤس المصير، فالطمع ضرّ وما نفع حسب اعتقاد الأخ الأكبر، وعلى غرار المثل القائل: (لو كان الجزاء بقدر التعب لنام الحمار على سرير من ذهب)

أما الوالد فكان على يقين بما يفعل لمصلحة العائلة بأكملها باستثناء بعض الأخطاء التي يُجبر عليها في كلّ عمل، فتلك الأخطاء الصغيرة أودت بالعائلة إلى نتائج خارجة عن الحسبان. ففقدان المسمار أضاع حدوة الحصان، وفقدان الحدوة أضاع الحصان، وفقدان الحصان أضاع الفارس، وعند ضياع الفرس والفارس فاتنا السباق مع الزمن، وعدنا نحلم بامتلاك الدفء والأمان، لعلّنا نواكب عبر الندم الفرس من جديد والوصول بها. فإن تصل متأخرًا خير من ألّا تصل أبدًا.

لنمضِ قدمًا ونسافرعبر السنين للعودة إلى مواكبة الفتاة العشرينية المتزوجة بالأخ الأكبر؛ أسمع أنين أنفاسها في ظلمة إحدى الليالي، تتألم من الداخل ويسمع صراخ دمعها يقطع أحشاءها دون أن يشعر بها أحد، تقف كلماتي عاجزة عن وصف مقلتيها، ما السبيل إلى مواساتها؟ ليته ثمن يُدفع لدفعته ولملمت رمادها المحروق المتطاير، أين صوتي؟ لِمَ ذهب مع الذين ذهبوا؟ أين قلمي؟ لِمَ جفّ اعتذارًا على حالها؟ أمامي جسد ميّت بالكامل أيقظه لسع بعض النحل من منام،

نهضت لتنهض آلامها معها، استرقت النظر إلى حبيبها النائم؛ توهج قلبها إيقاظًا له لكن دون جدوى، فما نفع الكلمات في أذنين نائمتين؟ أرقدت جمرها وذهبت تبحث عن تفسير للسعتها في الليل وقت زارها النحل وأيقظ ألمها. أجاء عطف الله والفرج القريب؟ الجميع نائمون فنحن في مقبرة الفكر، تأرجحت على أمل الصباح، ليت أحد أشعته تحيي التماس الفكر والنهوض بالواقع.

ألا يجوز أن يكون المرض الخبيث الذي أودى بولد القدير ليس السرطان بل وجع القلب؟ فالقلوب المظلمة وحدها من دفنت الأحياء. أين قلوب من يرمون الهاون في بلدي؟ هل جردتهم الحياة من النبض؟ ألم يمتلكوا الأهل والأقارب والخوف على الإخوة؟ من يقذف الهاون - في نظري - مهما كان وجعه لا يمتلك القلب أو هو تحت تأثير المخدرات أو حبوب الهلوسة أو عقد نفسية احتلت تفكير هؤلاء لإيذاء أكبر عدد من الأبرياء، أما كفى الأبرياء ضائقة الأوضاع الراهنة ؟!!!

أرى في حياة من هم في مدينتي ما يشبه دخول المصعد، أحاط الكسل بالجميع، يذهبون إلى أعمالهم دون تفاؤل أو بهجة. لا يعلمون متى يتوقف المصعد بهم، يرون أنفسهم تارةً في الأعلى وتارةً في الأسفل! من سيسحبهم وإلى أين؟

سنتعلم الكثير من دروس الحياة إذا لاحظنا عمل رجال الإطفاء فهم لا يكافحون النار بالنار، الجميع ملامون. كلّ منا يستطيع حدّ الألم بطريقة ما لمزاولة الحياة اليومية مراعيًا للغير: ((بستأجر مستودع جديد خبّي فيه كميات كبيرة من المواد لإقطعا من السوق وبيعا بعدين بالغلا)) أو: ((ليش لقبض الموظفين هلق؟ بستنا ينزل الدولار بستفيد.. الحركة بركة)) أو: ((أنا الوحيد سندويشة الفلافل عندي ب١٥٠، شو أنا مو معتر؟ بعملا ب٢٠٠ وبنقّص الكمية)).

أو: ((اطلبي من محل أخي كلّ غراضك بعدين بحاسبو ماني لح أهرب)) أو: ((هي العملية أجرة المشفى ٢٠٠ ألف وأجرتي ١٥٠ إذا ما معك حط دور بالمجاني)) أو:

((ليك حبيبي قول لأمك ساعتي صارت بـ٥٠٠٠ إذا ما قدرت جيب رفيق معك بعطيكون إنتولتنين)) أو((الغاز مقطوع ومطالعلك أنينة عنصً البيت وما بدك تعطيني متل ما بدي فكا بركبا لغيرك)) أو: ((جهزي حالك نطلع نغير جوّ. في واحد عم أنصب عليه اليوم أو بكرا بقبض البيعة)) أو.. أو.. أو.. أو.. أو.. أو.... ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، تلاعب، وغشّ، وطمع، وانتهاز، والجميع على صواب، بلد مدمر على جميع الأصعدة.

لو أنّ الزوجة قالت لزوجها: ((لا أريد الذهاب إلى أيّ مكان بعد، النصب العمد مما أنت فاعل لتردد وسيطرالحذرعليه، وابتلع ريقه وراح يؤنب نفسه مما اقترف، لكانت سددت له اللكمة بكل قواها مما يوقظه من فاجعة الطمع. طوبى لمن دخل الزحام ولم يفقد نفسه، لو أتى ذلك الرجل المقطوع من الغازعلى نفسه، وحرم عائلته من الملك لفترة معينة هو وغيره لتكدست الإسطوانات وعادت إلى سعرها الطبيعي.

((قم للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولاً)) لو التزم المعلم بروح هذه المقولة لما اختلط الحابل بالنابل، شبّهوك بالرسول فلِمَ تريد بيع المعرفة؟ لو أخذت نصف مطمعك لتجاوبت المهنة الرفيعة والأخلاق العالية، ولما افتقرت حالك، ولم تطحن إخوانك.

لنبدأ من أنفسنا ونرتفع دون رضوخ للسقوط؛ لنمتلك يدين لا تلويان وكرامة لا تهان، لا تخشَ أنْ يقال لك: ((مجنون)).. اخشَ أن تشاركهم عقولهم، ففي النهاية كل ساقٍ سيسقى بما سقى، قاوم وحارب بفكرك؛ فالذخائر لا تدوم، ونهضة القديرتمت عبر المقاومة باجتهاد، ووصل إلى الأماكن المرموقة لامتلاكه الحكمة والأخلاق العالية والقدرة على التجاوز والصعود بالفكر إلى الأعلى، أمّا الزوج أو الأخ الأكبر فكان البرد يلسع قدميه بعيدًا عن انتمائه، عاريًا متجردًا يخاطب السماء مترجيًا من الله حمل الخُطا، تائهًا خائفًا من الغد، لا يملك سوى الأمل مع بعض الاحتياجات. ألقى بنفسه على الأرصفة، بدأ الاكتئاب يرافق مسيرته،

متمارضًا سيئ المزاج قبيح السلوك، أستطيع أن أقول: كان يعيش إنسانيته كنصف شبح، تلونت وحدته بأفكار متضاربة.

تائه عمّا يفعل، كل ما شغل تفكيره هو الانتقام والوصول إلى النجاح دون قاعدة ارتكاز أو سند، لطالما حَلُم بصناعة القاعدة وتأسيس المنزل، والمجيء بالعائلة إليه لامتلاك الوصية، وتلقين أبيه درسًا عبر الفقدان. كلّ يوم يمر عليه يزيده إصرارًا على إطاحة والده عبر نفيه من مهامه كرَبِّ أسرة، بدأ ما لديه من المال ينفد؛ فهو متوقف عن العمل، وترك كل شيء خلفه المسكن، والحيّ، والأصدقاء، والأقارب، والأهم مصدر إيراده من العمل، حتى خطر له بيع هاتفه الذّكي؛ ليصرف ماله إلى حين مزاولة عمل جديد، طرق كلّ الأبواب دون جدوى، مع العلم أنه يمتلك أكثر من خبرة بأكثر من مجال، يتنقل باحثًا من ورشة إلى أخرى سائلاً الحرفيين وأصحاب المصالح والمتاجر. خيبة تلو خيبة، ليعود الليل من جديد مترجيًا النهار في فرصة، فاقدًا الأمل واليأس مجاور له.

الفصل الخامس

(٥)
قيس وليلاه

بعد المرور بمراحل من الصداقة العمياء عندما كانا يسكنان في ذات الحي، ويتشاركان كل شيء من مرح وسعادة ومشاكل وهموم وساعات الراحة والطعام، حتى تلك العلاقة الراقية المقام على أكتاف الصدق والوفاء، متخللة الأمان والاطمئنان النسبي لوجود شريك يشاركونه كافة تفاصيل اليوم وأعباء تقدم الوقت، والمتعارف عليه عند امتلاك العلاقات القوية إلى هذا الحدّ في المشاركة لدى أي اثنين، ينتج عنها أشد أنواع الإدمان، والتعود على وجود شخص ما في الحياة ليس بالسهل الوصول إليه ويستحيل الخروج منه، وفي حال خرج منها أحد الطرفين فإنّه يسبب ألمًا نفسيًا شديدًا للطرف الآخر، وكأنه تناول عقارًا أو سلوكًا ما بدرجة متزايدة، وعدم ممارسته يؤدي إلى ظهور

الأعراض بالسلب، والضياع، والتحطم، وتوقف الحياة لبعض الحالات، فالشخص الأناني المحبّ لنفسه هو الذي يعمل دائمًا على إضعاف الشريك ليسيطر عليه ويغدو الأقوى، أمَّا الشخص الإيجابي فنجده دائمًا يسعى إلى قوة شريكه في مواجهة الحياة، وتحمل الصعاب مع تخفيف أعباء الحياة عنه، أمّا الفراق فهو جوهرالحب، وعند الابتعاد يخبرنا عبرالشوق بمكانة الشخص وأهميته في الحياة، عند ترك الحيّ من قِبَل قيس خلت أيّامه وأيّام ليلاه من الاطمئنان لوجود الشريك وكأنهما مسروقان، هناك جزء من القلب فُقِد وخلا مكانه، وبدأ ينزف حتى تأثر الجسم بأكمله من المغيب ليتم اكتشاف النقص، بدت الأيام خالية من مراقبته لبثور وجهها كيف تأتي وترحل حتى اشتاقها حقًّا، ليرى من حوله كل النساء هي عند اشتداد ظلمة أحواله، وفي لحظات دماره الداخلي ناسيًا كل شيء يحمل آلامه ويمضي فجأة، ولبرهة من الزمن خلا الطريق بأكمله، ووقع نظره على فتاة بعيدة، انطفأت كلّ أنوار الصباح حوله وسلط عليها ضوءًا من خيال

عقله الباطن، ذهب مسرعًا مرتبك الخُطا، أعرج استقامة الظهر أو ربما مكسور الظهر كصغير خائف من ضياع والدته، أمسك بيدها جاذبًا إياها نحوه؛ صرخت الفتاة بوجهه قائلة: أجننت؟! أثقلت عيناه بأطنان من الخيبة حين ارتمت جفونه تتأمل الرصيف خزيًا واعتذارًا من الفتاة ذائقًا مرارة الفقدان - لم تكن هي- إذًا من كانت ؟

كانت نور قلبه لأعوام، كانت شعاعًا خرج منه طامحًا السقوط في أيّ جسد قريب ليجدها داخله عاكسًا ألمًا أشد قسوة من مصابه في تلك الأيام، ها هما يشتعلان وينطفئان بعود كبريت واحد دون تنسيق مسبق أو اتفاق، أجمل ما مرّا به هو البدايات، بل أحسن البدايات في تلك العلاقة، ليت ذلك الارتباك ما قبل الاعتراف بالحب يطول، لو أنّ الاهتمام بالبداية سلك ذات الوتيرة وسار على قدم وساق إلى النهاية لكانت العلاقات بألف خير، وخرجنا من فكرة الانفصال تحت أيّ ضغط أو تغير مفاجئ لأحد الطرفين، حسب قوة الاهتمام بالشريك، يُنهك الجسد بمحاربته لفكره ليعود

في قمة الاستسلام، ويحد ألمه بعدم القدرة على الهجران ليرضخ ويقدم للشريك التنازلات، لينال الاطمئنان والسلام الداخلي لقربه من عروق دمه، والوصول الى المبتغى المراد بشدة الصدق في المشاعر والتدقيق بالتفاصيل. شدة البوح إلى أقاصي البعد الناتج عن تفكير مزمن لاستقبال الشخص المنتقى بأبهى صورة لكلا الطرفين. ها هو الحب بعض من الارتجافات لمحيط القلب الممتد للخضوع الكامل في الهوى.

الفصل السادس

(٦)
أنياب ذئاب شاردة

بقي قيس يسكن يأسه إلى أن رأى صديقه القديم ((زيد))، وكما نعلم "الصديق عند الضيق"، تبادلا الأشواق بفرح لتلك المصادفة التي جمعتهما معًا من جديد، سأله قيس عن أحواله ليخبره أنه لا يزال على وضعه، ولم يتبدل شيء خلال تلك الفترة من الزمن؛ فهو غير مرتبط، يتيم العائلة يقطن وحده في منزله الصغير، وهو شبه غرفة في إحدى العشوائيات، وضعه الظاهر رديء إلى حدٍّ ما. أمّا قيس فبدأ يحدثه عن معاناته شاكيًا له وضعه الجديد ومأساة معيشته، وبدأ يصف مسيرة الهموم التي رافقت دربه وانتهت به إلى الهروب واعتناق الوحدة، وإذ خطر ببال زيد أن يجذب صديقه إليه، ويعرض عليه فكرة السكن معه. وهذا ما حصل تمامًا، فشكره قيس على مساندته في وقت أراد

فيه اللجوء بشدة لأيّ إنسان يمدّ له يد المساعدة، فطاقته نفدت كلها، وهو يرغب بالاحتماء رافضًا الرجوع إلى والده رفضًا قاطعًا، حتى وإن اضطر لأكل التراب، وهذا ما حصل.

ذهب قيس مع صديقه إلى تلك الغرفة، وبدأ يلتمس الفروق بين منزل عائلته وشبه المنزل الجديد، لكنَّ كل ما حوله كان يزيده إصرارًا على البدء من جديد، ألقى زيد بنسخة من المفاتيح في راحة يده وابتسم، فشعر قيس بالخجل قائلاً: ((كيف لي برد معروفك هذا يا صديقي؟ أعلم أني أفرغ ثقل حملي عليك، ولكنني أبحث عن عمل، وهي مجرد فترة صغيرة سأعتمد بعدها على ذاتي، ولن أنسى معروفك هذا. أخبرني لِمَ لم تتزوج إلى الآن))؟ وسرعان ما ردّ عليه زيد ساخرًا: كيف لي بالزواج وأنا شبه تائه؟ مَنْ تلك المرأة التي ستقبل بي إن علمت ما أفعل وكيف أجمع نقودي القليلة؟! وما عساني أقدم لها؟ إنني لا أملك الوقت الكافي لتكوين العائلة، كلّ يوم أنهي عملي الشاق لأعود إلى فراشي لأرتاح قليلاً، ومن ثَمَّ

يأتي رفاقي لأكمل ما تبقى من يومي في لعب الورق والمقامرات ونسيان ما يحصل في النهار.

فوجئ قيس وظهرت ملامح التعجب على وجهه:

- ما نوع عملك؟ أهو غير أخلاقي ؟
- ما مفهوم كلمة أخلاقي في حياتك؟ أتظن أنّ هناك عملاً يجلب المال لك وهو أخلاقي؟ أشعر وكأنك تستنطقني يا صديقي أتعمل محققًا أم ماذا؟

وذهب ضاحكًا يقول بينه وبين نفسه: ((سأجعل منك نسخة طبق الأصل عني، وسأسند عليك كتفي، حان الوقت لأرتاح قليلاً)). التفت إليه قبل خروجه قائلاً:

- غداً ستبدأ العمل معي، وسأخبرك بالتفاصيل في الصباح، أمّا الآن فسأجلب بعض الأشياء اللازمة من السوق لأنَّ رفاقي سيأتون في المساء. أتريد الذهاب معي؟
- لا سأرتاح قليلاً ثم أستحم وأبدل ملابسي، لكن ما نوع عملك؟ أشعر برغبة ملحة لمعرفته،أثرت الفضول داخلي. وهل حقًا أستطيع العمل معك ؟ كيف وأين؟ أخبرني أيّ شيء..!

- غدًا غدًا أخبرك كلّ شيء. كلّ ما عليك فعله الآن أن تعتبر المنزل منزلك يا صاحبي.

ها هو ينعم بمأوى وصديق ولم يعد تائهًا؛ لجأ إلى من يواكب خطواته للجلوس في كنف غير صحي وغير مناسب، لا يخلو من الطمع والخطر، لقد ذهب من " تحت الدلف لتحت المزراب "، ولكن ما المياه التي زربت على رأسه ؟ ومتى أيقن أنّها مياه مجارير؟ ومتى ملأه الندم ؟ وكيف التجأ إلى الموت في زمن لم يعد ينفع فيه الندم؟

سأدخل في تفاصيل حادة في الإجرام لخروجه من السيطرة والوقوع في الضياع، سأبدأ بلحظة اجتماعه برفاق زيد في إحدى ليالي البرد، ليلة من بدء الضياع ونهاية المطاف، والرضوخ للسقوط ومسيرة الألم.

دخل خمسة شباب " ليجتمع المنحوس مع خايب الرّجا ". يسمعون الأغاني الصاخبة، ويتناقلون أوراق اللعب بغرض المقامرة، ويلفون السجائر المليئة بالحشيش؛ المخدرات تمتع عقولهم وترخي أجسادهم؛

لينعموا بالهروب المؤقت والتخيلات الجميلة، وحدّ الألم بالموت القريب.

كان قيس في البدء يجلس في إحدى زوايا الغرفة، يراقب بصمت ما يحدث، وإذا بأحد الجالسين يقترب من زيد هامسًا في أذنه: ((ما بال صاحبك؟ الوضع غير مريح..!)) فطمأنه وقال بأعلى صوته:" قيس! تعال اجلس مكاني لتلقنهم درسًا في فنون لعب الورق، وخذ هذه اللفافة من يدي، واستمتع براحة وخلو البال وادعي لي" فضحكوا جميعًا مؤكدين كلامه مرحبين به شريكا لهم.

وبالفعل- كما قال زيد تمامًا- تم الاسترخاء، ودخل السّم إلى جسده ليرسم الطريق الجديدة لحياته، تخدير الخطوات، وإطاحة العقل، والقيام بالأفعال الشنيعة والمخزية، مساوئ غياب الإدراك والتفكير، حيث يصبح الشخص خارج نطاق التغطية، ذاهبًا بأحلامه وطموحاته إلى الجحيم، فاقدًا الإحساس والمشاعر، مستمتعًا بعض الوقت ومستسلمًا مدى ما تبقى له من حياة للفشل والخزي، ممتلكًا مشاعرالكره لمحيطه،

والهروب من كلّ شخص غاص أو مرّ مرور الكرام على سوء أفعاله، فالتعاطي لا يجلب استقامة الحياة. كل ما كان يقدم إلى المتعاطي هو الاسترخاء لبعض لوقت دافعًا من الثمن قذارةً غير متناهية ونهايةً مروعة.

سأعود إلى قيس ومكان لجوئه والعوامل الخارجية التي أنهكت جسده، لحظة مغادرة الجميع والاستلقاء على ظهر الخيبة أدار رأسه ناظرًا إلى فراش زيد، بدأ نومه بكلمات من الشكر قائلاً أشعر بأنني ملك لا أعلم كيف أشكرك، أتعلم كم من الزمن مرّ دون أن أشعر بهذه السعادة المرافقة لي الآن؟ لكن هنالك ما يشغل تفكيري دائمًا، ولا أستطيع الخروج منه حتى بعد تخدير جسدي إنّها صديقتي، بدأت أشتاقها، هذه الفتاة تحتلني بشكل غريب، لم أفقد شيئًا بخروجي من الحيّ سواها. قلت لها: إني مسافر لأجمع المال، تلقت الخبر بحزن شديد، حتى أيقنت أنها تحبني بجنون، أشعر بالذنب نحوها، فبغربتي عنها حكمت عليها بالتعاسة؛ كنّا نتشارك الكثير من الأشياء، سأحدثها لا يهمني كم الساعة الآن، فأنا متأكد

أنّ الأرق يحيط بها، أملك حاسة خاصة لها، وكأنني أشعر بها دون رؤيتها، نبضي يضطرب في قلبي عند حزنها.

ها هي العشرينية تظهر من جديد بمشاعر لا تشبه واقعها. الآن تلقت رسالة من قيس لأشواق انهمرت من المحتوى، طالبًا إياها أن ترسل له بعضًا من صورها، استيقظ قيس في الظهيرة، وعاد لمكالمة صديقته والبوح لها عن مشاعره، وهي أيضًا تلقت مشاعره من حب بسعادة عارمة، كأنها انتظرت تلك الكلمات لتنقذها من المبادرة والاعتراف بلهيب النار المشتعل في قلبها حبًا له.

شعر بحبّ الحياة، والإيجابية، والتفاؤل بالغد، مع العلم أنّ وضعه الصحي غير مستقر، قام من فراشه بحالة تخدير كامل متألم الرأس يلوم النفس من آثار التخدير في جسده، وإذا بصديقه يطرق الباب، فقال له :

- لِمَ لم تفتح بالمفتاح ؟

- اعتقدت أنّك نائم لم أقصد إيقاظك، اجلس لنتكلم. أنا أعمل لدى طبيب يرسل بي في مهمات تلبي مصالحه؛ لأنفذها وأقبض ثمنها. قبل سؤالك لي عن طبيعة تلك

المهمات سأقول لك شيئًا: إذا عملت معنا ستستقر ماديًا وتملك النقود، مما يجعلك قويًّا تحقق ما تريد وتصل إلى كل ما تحلم به، أمّا إذا اخترت الرحيل فأنا لا أمنعك، أخفيت عنك في البدء أنني أملك المال، ولكنني أثق بك ثقة تمنعك من الغدر بي، وأريد لك الاستفادة يا صاحبي. لهذا رغبت بشدة إخبارك عن عملنا، لتحسين وضعك وانتشالك من الفقر والتشرد، كلٌّ منا يسعى إلى العيش بعيدًا عن قسوة الحياة فأرجو منك أن تختار ما يسعدك. لا أريد رؤية السوء بك وبمعيشتك.

- قف، لا تتكلم، أصبحت الفكرة كاملة لديَّ، سأعمل معك بما منع على مر السنين، عملت بما يرضي إلى أن وصلت إلى طريق مسدود يائسًا محبطًا تعيسًا، سأدفن كل معتقداتي وقيمي ومبادئي لأعيش المتعة، والسعادة،والابتهاج، سأبني إمبراطورية خاصة بي لطالما حلمت بها..

- وأنا سأساندك للوصول إلى مبتغاك؛ لتقف من جديد أقوى من قبل بآلاف المرات، أمّا الآن فخذ قسطًا من الراحة، سأعطيك بعض النقود ريثما تبدأ العمل

خلال الأيّام المقبلة، أحتاج بعض الوقت كي آتي بك شريكًا جديدًا لنا.

استغل قيس تلك الأيام لوجهين من الإدمان، أحدهما كان دوره فيه قاتلاً والآخر مقتولاً: المخدرات، والحب، حتى حان موعد العمل. ذهب مع صديقه وفي الطريق راوده ألف سؤال وسؤال عن تفاصيل العمل، ولكنّ كتمان زيد أطاح بمحاولاته لمعرفة أيّ شيء عن تلك المهمات، وعندما وصلا الجهة المعتمدة من قبل الصديق تعجب استغرابًا عندما رأى المكان، لأنه لا يشبه عيادة طبيب بل هوكأحد مسالخ العجل، أوبمعنى آخر أحد أماكن سفك الدماء والمجازر المرتكبة بحق الإنسانية. دخلوا العيادة أو المكان، وقام زيد بمصافحة الطبيب قائلاً له:

- ها هو الشاب شريكي الجديد بالسكن، حدثتك عنه ويمكنك الاعتماد عليه في الكثيرمن المواقف، إنه مجتهد وستُذهل به، إنه قوي وذكي ومحل ثقة، نادرون أمثاله في زمننا هذا.

وبعد ترحيب الطبيب بهم والمبالغة ورمي كلماته في الهواء ليملأ بها فراغات عقولهم، ومدّهم بكلام اعتمد كل الاعتماد على بثّ الطاقة الإيجابية، وما يستحقون من اعتناق الترف المادي، والوصول الى مناصب القوة، يمحو يأسهم ليلعب على نقاط ضعفهم واستثمارها بما يلبي مصالحه، عقد حاجبيه وكأنه مجبر على أفعاله وغير راضٍ عمّا يقول، وهو كان عكس الصورة التي ينقلها بتفاصيل وجهه، هذا كان ركنًا من أركان الإجرام الذي حلّ علينا. قال :

- ستكون الساعد الخفي لمساعدة الناس وخلاصهم، إن نظرت إلى العمل للوهلة الأولى ستعتقد أننا مجرمون، ولكن بوصولنا إلى أهدافنا ستشعر أنك أحد أعمدة الإصلاح، وأيّ مهمة تنسب إليك ويتم تنفيذها على أكمل وجه، ستلقى أجرها وكامل مستحقاتك لإتمامها، أمّا طبيعة المهمات فخطرة إلى حدّ ما. سنسرق السارق، ونقتل القاتل، ونسلب نساء الخائن، ونتاجر بأعضاء الظالم إلى أن نفسد الفساد، لتشرق شمس النصر والقوة.

ذهب قيس مسرعًا متجهًا نحو الباب والصراع يجوب عقله، يسمع الطبيب والصديق يثرثران مناديًا صديقه باسمه أكثر من مرة، ليجمد مكانه متكئًا برأسه على حافة الباب، وكأنه طفل ممزق الداخل من شدة إحكام الطرفين لسحبه، تائه ضائع لا يعرف ماذا يختار؟ هل يفتح الباب ويخرج إلى الموت دون مسكن، دون مال دون الاهتمام به من قبل أحد، ليصبح ملاحقًا ومعرّضًا للموت من تلك العصابات خوفًا من إفشائه أسرارهم؟ أم يعود مهدر الكرامة مقابل العيش والمال، وغادر بنفسه وبالإنسانية متمنيًا أن يبقى على حافة الهاوية، فلو عاد وأوسعهم ضربًا مبرحًا لفقد العودة إلى الأمان شانقًا غده بيده، ولو خرج موافقًا لفقد الذهاب إلى الأمان، واعتنق الإجرام. وها هو الصديق يشعر بالشفقة عليه، لينهض مختارًا له قراره نيابة عن ضياعه بالدهس على رأسه، من خلال العودة به إلى الملجأ المتبقي له من حياة قائلاً للطبيب:

- لا تقلق أيها الطبيب، قيس ليس بخائن لنا.. سيكافح معنا إلى آخر قطرة دماء لننعم جميعًا بالحرية المطلوبة.

خرجا ولم يتفوه قيس بأي كلمة، مكسور الجناح، مهدود القوام وكأنّه ابتلع السكين بحديها، كل ما ذكره بعدها لصديقه (اليوم في السهرة)، هنا أدار الصديق رأسه متململاً، يخرج الحروف من فمه ببطء وتلكؤ: ((اليوم زايد عنّا من مبارح بس بكرة خالصين. شو مفكر بزرع حشيش عندي؟ هاد السهر بدو مصاري)). اعتمد الضغط المادي عليه لإحكام لفّ الحبل حول عنقه والرضوخ الكامل منفذًا للأوامر.

بعد مرور بضعة أشهر من التعاطي والأعمال المخزية، أصبح ميسور الحال بعض الشيء، لأنّ ماله المستخرج من الغدر والمخادعة والإجرام، كان نصفه يذهب إلى صديقه لإمداده بالمخدرات، كي يقوى على تنفيذ ما يطلب منه، بدأ صبره ينفد من هجرانه للشريك، يبحث عن الأمان والدفء في زمن المطامع والتلاعب والأوساخ المحيطة به من كل جانب، عرض عليها الزواج لأنّها المنيرة الوحيدة لظلمته؛ ليلتجئ إليها وقت ضعفه ويقوى بها، فلبت دعوته ومطلبه، أحبته بصدق، لم تخذله يومًا رغم تراكم أخطائه متجاهلة أيّ

شروط للمعيشة تاركة وراءها جميع أحلام الفتيات من اختيار الشخص المناسب. تجردت لأجله رافضة أي قرار من العقل يمنعها من الالتجاء إلى العدم، وكأنها ستطعن نفسها كلّ حين فقط لاختيارها الأنسب لقلبها وراحتها بمجاورته، فهي تعلم مدى صعوبة التعامل مع طباعه الحادة ولجوئه للهروب عند أيّ ضغط يتعرض له، ومع كل هذه المعوقات فإنها تعشقه، وفي ذات يوم متفق عليه من قبل الطرفين، ذهب قيس طالبًا يدها للزواج من والدها كما هي العادات والتقاليد والأعراف

دقت ساعة استقباله، دخل منزلهم وحيدًا دون جاه أو سند، وجلس أمام والدها، واسترسل في الكلام على أنه الفتى المناسب الطَّموح العصامي، الراغب بابنته شريكة لحياته ساعيًا لتأمين متطلبات العيش، استوقفه الأب ببعض الأسئلة الواجبة على كل وليّ أمر؛ طرحها للاطمئنان على حياة ابنته ومستقبلها، وكان أولها:

- أين والدك، أو والدتك؟ هل هم رافضون لفكرة الزواج، أم لزواجك من ابنتي تحديدًا؟ وأين تعمل؟ وما طبيعة

عملك المرتكز عليه؟ صف لي بصدق ماضيك وحاضرك وما تراه لمستقبلك، ما عساك تقدم لابنتي؟ أحدد قيمة الرجال من عطائهم وليس من ممتلكاتهم، أخبرني عن عطائك، لا تخبرني عن اتساع محفظتك.

هنا راوده الحذر من كل جانب قائلاً:

- لا أملك إجابات على ما تريد، فكل ماض مررت به مدفون، وجئتك يتيمًا، أمّا عملي ومردود عيشي فأكتم سرّه عن أيّ إنسان، وكل ما تحتاج معرفته هو أنني ذلك الرجل المعتمد عليه، أطاحت بي الحياة مرات عديدة، وتعلمت منها الدروس ودخول الامتحانات والخروج منها ناجحًا.

وقف الوالد قائلاً: شاكرين زيارتك، لكن ابنتي تربت على المعرفة، ولا أستطيع الإلقاء بها إلى المجهول، وأنت المجهول بحدّ ذاته. خرج ولم يعد.

اتصلت به حبيبته وأزاحت عن قلبه خيبته واضعة نفسها رهن إشارته، فاتفقا معًا على الهروب والسير في علاقة الزواج خارجين عن المألوف، متخلية عن منزلها، وأهلها، وأمانها، خاضعة لحبّ قلبها.

الفصل السابع

(٧)
علاقات مظلمة

ها هي تغرقه بالعسل، فرّغت كل وقتها وطاقتها للاهتمام به، حتى هوكان يشم رائحتها ليل نهارلوجه من الإدمان ناسيين كل آلام الماضي لفراقهما، متنعمين بالاستقرار الداخلي والاطمئنان لمجاورة الحبيب.

وكما هي حال الحياة الأوقات السعيدة تسرع في الزوال، فبعد مرور ستة أشهر من العشق والراحة النسبية واستقرار النفس وبدء تكوين العائلة، عاد إلى الانهيار، فمصدر رزقه كان حملاً على أكتافه، يريد التخلص منه والعودة للرزق الحلال بأي ثمن لكن دون جدوى، فهو مسيَّر وليس مخيَّرًا، ليزداد مع مرور الوقت تلطيخ عالمه بالأوساخ يومًا بعد يوم. سيُقطع عنه الإمداد بالمخدرات والمال لحظة توقفه عن أي عمل، أرى

فيه عبدًا للعوامل الخارجية، ناسيًا دوافع التجائه كأنّه حجر شطرنج، يرسلون به إلى المهمات كما يحلو لهم.

بدأ الخوف يسيطر عليه، يشتاق ندمًا إلى نفسه، يحنّ إلى الأمان المرافق لعائلته، بدأ ينظر إلى معشوقته على أنها جزء من الوضع السيئ المفروض عليه، لم يستطع الهروب من أي طرف، فهو محكوم. بدأت ترى منه قلة الحبّ والاهتمام والمشاجرات اليومية والهجرلها، وهكذا يمضي الوقت وسيصل به الزمن إلى الندم، فكيف يستطيع بعد غد بيع سجائره لإصلاح النفس، والمحافظة على الوقت المسروق من عمره وعمرما تبقى من ليلاه، ووالدته، وإخوانه، وأشباه أولاده، وتجاوز أخطاء والده ليحد الدمار والخراب المرافقين للجميع؟! كل شيء من الممكن تعويضه بالندم إلّا اثنين: قتل النفوس، وإضاعة الوقت، هنا يقف الندم عاجزًا.

قالت له ليلاه قبل فراقه: ((أنت كحُلم همست لي سرًا، أي حبّ في ضوء القمر تريد؟ لا وجه لي ولا شكل ولا ملامح. أنا بضع كلمات فاض منها عطر موسيقي لأنني

الغد، والغد يا قيس سراب، والسراب جنون الخيال، والخيال هو الظلام. والظلام هو المجهول، وأنت تخاف المجهول لا الظلام، فهل ستفقد أحلامك لأنها المجهول!!! هيا احزن يا عشيقي، فالحزن وقود الحب، والحب هو السراب الوحيد الباقي في ظل النور. هيَّا قُم وعلق حبل مشنقتك،

ولا تنسَ أن تعيش اليوم الأخير، وتذكر أنّ الشمس تقتل الظلام، وتلد النار والنور، والبعد يعلم الغربة ثم الحنين، ومن ثم توبة العاشقين. هيَّا نفذ أوامري، فأنا سلطانتك)).

الحُلم والحبّ في زمن الحديد هو الهروب من السجن والسجان، فبعد المعصية والتلطخ بالدماء قتل نفسه بجرعة زائدة من المخدرات، أضاع كل ما يمكن إضاعته عبر رعونة التصرفات، رأى نفسه الأسرع لمقابلة القدير، طلب منه أن يرى ما حصل بعد مماته، أخبره أنّ التوقيت بين الدنيا والآخرة يختلف كثيرًا..

- الدقائق هنا تعادل الكثير من الأيام هناك، ولكنني سأريك ما اقترفت وما فعلت أنت وأمثالك من لاجئين لي،

سأعرض عليك ما حدث من تراكمات من خلال هذا المنظار، هيّا اسرق النظرمن منظاري كما سرقت بهجة الأيام أنت وغيرك من المخطئين.

وفجأة ظهر والده مقسوم الظهر، ودموعه أغرقت التراب وما تحت التراب أيضًا، وحيدًا، ذات المشهد يتكرر العديد من المرات بسرعة فائقة، ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه وقال:

- ((رأيت بك يومًا أحني أكثروتذكرما فعلت بنا)).

قاطع القدير نظراته بعبارة ارتعشت حواسه لمسمعها:

- ((ويلك إن علمت انحناء ظهروالدك!! ويلك إن علمت

من تحت التراب!! ويلك لورأيت ما سقيت هذا التراب)).

ردّ والنارتشعل عينيه:

- ((ماذا تقصد؟ أين أمي؟ أرني إياها هي بخير، أنا أعلم، أمي شامة على كتف الزمن لا يمكن هزيمتها .
- أجل والدتك بجواري، وما من شيء يزيل شامة الدنيا، ولو تم دفنها بتراكم أخطائكم إلا أنها نقية بريئة منكم،

تمتلك المنزلة الرفيعة على مر الزمن، تنهض من جديد كل حين لتفجع منكم خائبة الرجاء.

انهمرت دموعه وأكمل الشريط، وإذا بصديقه يلقى بئس المصير، والطبيب يغادر إلى بلاده مستقلاً الطائرة، ومعه الأموال الطائلة المسروقة. جاءه صوت القدير:

- أتعلم هذه الأموال ملكك وملك إخوانك؟!! أتعلم أنك بعت أجساد أبنائك؟!!

انهار انهياراً كاملاً. كان يصرخ:

- أين عشيقتي؟ أريدها الآن أرجوك، لا أريد منك سواها. أترى ذلك الضوء الخافت هناك؟
- أيٌّ منها؟ إنها كثيرة، لأنّ أمثالك كثر، لقد انطفأت، يا لك من أناني، أنت الآن تحتاجها لتضيء ظلمتك بها كالعادة. ولكن كانت بجوارك تبكي، وأنت من قتلتها مئات المرات. عاشت ما تبقى لها من عمر تُحرق، تُحرق لتنير غرفة أعمى، وعندما أبصرت الآن الوقت قد مضى، انظر إليها كيف ذابت ولم يتبق منها شيئًا، انطفأت وفاءً لك، وها أنت أطفأت نفسك فاقدًا كل شيء، ملتجئًا إليّ نادمًا، وما

نفع الندم؟ فلتحيَ ظلمتك، الحياة تستمر ولا تقف منتظرة أحد. وأنا لا أريد أن أرى فتاتك، كيف لي أن ألقاها وهي بائسة؟ كيف لي إدخال البهجة إليها؟ هي تريدك أنت وتقوى بي وأنت خذلتها ولجأت إليّ، أمّا أنا فنادم على زرعك بها، لم تكن تستحقها يومًا، وأفضل عقاب لك أن تأكل أصابعك ندمًا وأنت تستمع لما حدث قبل وبعد مماتك، إليك التفاصيل فلتسمعها، وتدخل في فكر أخيك، وتقفل كتابك بعدها، ها هو الليث وما حصل معه على مرّ الأيام، وما أحاط تفكيره، وما خفي وراء أفعاله. اسمع:

الفصل الثامن

(٨)
دُمَى متحركة (شروط قاتل)

لم أكن أتخيل نزول أخي التوأم قبلي ببضع دقائق كافية كي تمنحه لقب البكر، ليصبح مدللاً لدى عائلتي، أصبح لديَّ هاجس مخيف، أريد الوصول قبله إلى كلّ شيء، لِمَ هو؟ لِمَ لم أستطع النزول قبله؟ كانت والدتي تعتني بنا بدرجات مختلفة، تلك الفروق الصغيرة غير المرئية لعائلتي أودت بي إلى الجنون، ففي المراحل الأولى من الطفولة كنا نبكي معًا، فيحصل هو على الطعام قبلي، نستيقظ كل صباح وسرعان ما يحمله والدي ويذهب به إلى النافذة، وعندما يعيده إلى السرير يذهب بين، كنت أراقب كيف يلعب في الماء عند استحمامه، وحين يأتي موعد استحمامي أرفض اللعب بأشيائه التي كانت ملكنا معًا قبل أن أسبق إليها، فأنا بحسب ذلك الترتيب اللعين الثاني، كان يملك اسم جدي وينادون به أبا لاسم والدي،

وبانتقالنا إلى المدرسة كان يفوقني ذكاءًا، ربما لأنّه خالي البال، لم تراوده لعنة الغِيرة مثلي، ليلقى المدح والاهتمام من قبل المعلمين أيضًا. وعندما حان وقت العمل أرى أبي ذاهبًا به إلى أصدقائه؛ ليتركه في الأماكن الصحيحة. أما أنا فكنت أشتعل، النيران لبست جسدي، رافضًا المساعدة معتمدًا على ذاتي، بدأت أجمع النقود وأعطيها كلها لعائلتي، لأثبت لهم أنني كفء، أنا الرجل أما هو فمازال طفلاً، ما لا أستطيع فهمه:

_لِمَ ترحب به المجالس تاركًا بصمة شخصيته في أي قلب يمر عليه مرور الكرام؟ كيف يأسر البشر مع العلم أنه تخطى مراحل اللؤم والأنانية بدرجات كبيرة؟ لم يكن يلتفت إلى أحد معتبرًا نفسه أحد السلاطين، وعلى الجميع الاهتمام به وطاعته، ومع هذا كله يملك من النمردة ما يفوق الخيال. لم يرض بشيء يقدم له، ترك الحيّ وأهلي وإخوتي ورحل، حتى في رحيله كان يحتلّ قلب أبي وأمي، استنزفهم إلى أن أيبس عروقهم حزنًت. قبل خروجه من المنزل كثرت مشاكله مع والدي، وبمغادرته وقطعها قلت لنفسي:" قد خرج السمّ من جسد العائلة".

انتظرت يومًا وشهرًا وسنةً على أمل أن يموت في تفكير عائلتي، ولكن أنا من يموت كل يوم، وهو يبقى في ذاكرتهم، أصبحت أشعر أنّ جدران المنزل هي أهلي، أمّا أهلي فهم الجدران، أنا من أطعتهم وأحسنت معاملتهم، وتبرعت بكلّ ما لي من ممتلكات رُزقت بها على مدى الأيام من عرق جبيني والتعب المرافق لهدر أوقاتي وأحلامي؛ كنت ألقي بمطامعي في أي بئر أمر بجواره، فقط لأُرضي عائلتي وأكون البارّ، والسند، وأحد أعمدة وقوف العائلة. لِمَ الويل لي والاشتياقات له؟ لِمَ التجاهل لي والتفكير به؟ لِمَ الظلام لي وحدي والدفء والنور والراحة له؟ أشعر بالظلم يحيك سوداوية النظر على كل ما وقعت عيني عليه، يتسابقون لأذيتي وتدميري على مرّ الأيام. تبرعت بالصعب المستحيل ولا أحد يلتفت إليَّ أو يعطيني أيّ شيء ممكن بسيط سهل مهما كان حجمه صغيرًا، حتى تلك الأشياء الواجب على الحياة أن تقدمها لي، كنت أتذوق طعمها لفترة ما قبل الاستمتاع بها، لتُسحب مني ثانية وكأنني استعرتها لأقوى قليلاً، وعند إرجاعها يتلذذ الضعف بمعانقتي بقوة أشبه بتكسير عظام صدري،

ليتني لم أحتاج هذا العناق ولا فقدت ما بداخلي لاستعارته، إلى متى سأظهر القوة والبراكين تثور في جوفي؟ الصمود الذي أحياني إلى الآن يتحول إلى قنبلة مؤقتة داخلي، كلّما اشتدّ غضبي أعطيت الآخرين وقتًا أكثر وفرصًا أكثر؛ لترصيص البارود داخل قنبلتي ولعنة الصمود ترافقني. أنا على هذا الكوكب الكبير أصنف نفسي كغبي ساذج يبحث عن المتاعب ولعب أدوار البطولة دون أجر أو ثواب، أنقذ الغارقين بقوتي لتتم نجاتهم وينالني غرقهم، بدأت في تلك المسيرة الحمقاء عن طِيب قلب، لأغدو ذلك الإنسان المتميز المعتمد على ذاته، متخليًا عمّا هو ملكي ومن حقي، فاقدًا لمشاعر كنت بأمس الحاجة إليها، فقط لأدفن غيرتي وأظهر قوتي وعزة نفسي، كبريائي أودى بي إلى الطريق المسدود. بمرور الزمن أصبحت آلة تنتج كمية معينة من المواد اللازمة لكل من حولي، وأيّ خلل أصابني أو أصاب شبيهتي من آلة يستصلحونني ببضع كلمات في وقت لا يتجاوز خمس دقائق، أشعر كأنهم مجبرون على مدحي وإعطائي بعض الدفع، واللعب على ما أملك من نخوة الأفعال وشهامة

التصرف لإعادة تشغيلي أو بالأحرى كيلا أتوقف عن الإنتاج، وتختبئ خلف هذه الكلمات اللعينة نظرات الاشمئزازلتقصيري، وبدأ لومي بطرق غيرمباشرة: لا أحد يفهم عما أتكلم إلّا من لعب دور الضحية مثلي لإبرازنقائه وبطولة أفعاله وإظهارمحبته وإخلاصه بالتضحية العميقة دون مقابل.

بقيت سنين طويلة أحاول الهروب من نفسي، من تصرفاتي، وفي كل مرة كنت أُصفَع، إنني ما زلت مكاني إلى أن دق الصفرفي قنبلتي وتوفيت والدتي، من جهة لم تعد لديَّ القدرة على المتابعة، ومن جهة أخرى أتت لي الفرصة بالهروب الباقي. اتصل بي صديق قيس أخي التوأم ليخبرني أنّ أخي توفي في جرعة مخدرات زائدة، وبما أنني الراعي الرسمي لحل مشاكل الجميع اختارني لإخفاء موته أو حَبْك قصة موته على أنها قضاء وقدر،هنا وللحظات عصيبة لم أمتلك الحزن ولا الشفقة عليه، كلّ ما خطرلي أن أَحْبُك قصة موتي أنا كبطل وإحيائي مكان أخي قيس، أريد الجلوس بدلاً منه. أريد من الجميع الاهتمام بي، وبعد مرارة الأيام والتعب أريد المكافأة والاسترخاء. أريد

الحصول على جميع ممتلكاته وزوجته ومكانته وشخصه المحبوب، أظنّ أنّ حياة أخي من حقي وأنّ موتي من حقه، ذهبت مسرعًا قائلاً لأهلي: اتصل قيس بي يريد رؤيتي، لعله تائب يريد الرجوع إلينا، سأسعى بكل قوتي مثلما كنت دائمًا لأعيد البسمة لك يا والدي.

وذهب مسرعًا وهوعلى يقين أنّ بسمة الوالد لرجوع قيس إلى أحضانه لا تزول إن علم مصاب الليث ومفارقته الحياة، ووصل المكان المحدد من قبل زيد، وقال له بكل جرأة وثقة: أتعلم أنني من مات، وأنّ قيس ما زال على قيد الحياة؟! قال له زيد وهو في حال يُرثى لها من شدة خوفه: كيف لم أفهم ؟! جثة صديقي قيس ملقاة على ذلك السرير وأنت تقول لي إنه مازال على قيد الحياة، وأنت المتوفى؟ أتلعب بي؟!! ردّ ليث ساخرًا وقال: أمّا من مات فهو أنا، وأنت وقيس تخرجون من هذا الباب مسعفين الليث على أنّه تم دهسه في الطريق من قِبَل شاب أَرْعن يقود بجنون، أو أعذرني سأذهب إلى مخفر الشرطة وأقول لهم ما تفعلون في هذا المنزل بعقول الشباب لإدمانهم، وكيف قتلتم أخي، وكم من شاب خرج مثله من

هذا الباب مقتولاً بفعلكم، عليك الاختيار: إمّا الشهادة معي أمام الجميع على ما قلت لك، وتنعم بالصمت والهروب ولا أريد رؤيتك مجددًا في حياتي، وإمّا الإبلاغ عنكم وأعود إلى منزلي سالمًا. تعجب زيد ورد مسرعًا: لك ما شئت يا قيس!

فابتسم وقال: قبل الذهاب يا صديقي عليك إخباري بكلّ ما تعلم عن أخي قيس، فأنا من دهر لم أره، ولكن كانت تصلني بعض الأخبارعنه، أعلم أنه يملك عائلة فقط، وأنّ وضعه المادي مستقر، هذا كل شيء. هيّا قل لي كلّ ما تعلم عنه، إن كان الفعل صغيرًا أم كبيرًا. ليس من السهل علىّ الجلوس مكانه فأيّ خطأ كان سيكشف هذه اللعبة.

- حسنَا لك ما تريد، سأروي لك قصة أخيك من لحظة اجتماعي به في الطريق إلى لحظة مفارقته الحياة أمام عيني هنا.

بدأ الكذب وإخفاء حقيقة عمل قيس، معلقًا كلّ الأخطاء على شماعة المخدرات، باختصار الشخص الوحيد الراوي إن كان صادقًا أم كاذبًا هو الصديق، فالمتهم والمذنب والضحية والقاتل والمقتول أصبح جثة..

بعد الإصغاء قام بتبديل ملابسه مع أخيه، ووضع أوراقه الثبوتية في جيب البنطال ملبسًا إياه، وأخذ يبكي بحرقة لتوديع الضحية ليث، ولبس ثياب العارلينعم بالراحة دافئًا أخاه غير مبالٍ به. رميا بالجثة من أعلى البناء للوصول بها إلى التشوه، تشوه الارتطام بفعل حادث أليم، ثم وضعوها في الطريق، واتصل مسرعًا بالشرطة ليروي لهم مقتل أخيه ونجاته مع صديقه من شاب أَرْعن يقود بسرعة خيالية. وبعد لعب دور شاهد العيان، تم إخبار العائلة لتتلقى فاجعتهم الجديدة. حضر الوالد إلى قسم الشرطة وفي عيونه حُرقة كافية لكَيِّ العالم أجمع؛ فقد الجندي المجهول، فقد الصالح المعطاء، ها هي الحياة أطاحت بالحنون، ضم قيس ابنه الضال ووعده بكل ما يستطيع لإصلاح حاله كي يرجع إليه، لِمَ نبدو قيمين عند موتنا؟ ألا يجوز لو أننا حظينا ببعض تلك المشاعر الجميلة بدل البكاء فوق قبورنا أن نواصل العيش؟ خرج قيس من القسم على أنّه قيس من شدة تقمص الشخصية الجديدة، والهروب من محاسن طباعه، نسي وجع والده وموت

أخيه، وكلّ ما شغله وقتها الخيانة، الخيانة عندما تأتي من الشخص المؤتمن موضع الثقة تعادل مئات الضربات، فتقلب الموازين كلَّها، لعبت الدور الأكبرفي فترة من الزمن، تلقينا المخادعة لتصبح الفاجعة اثنتين، وها هو قيس يكلّم ذاته متناقضًا خائفًا لتملك السعادة إن كانت سعادة أم حزنًا، ألقى بنفسه إلى المجهول لوجه تشابه جديد قائلاً: إنّي أرتجف كيف أعود وأنا لست بأنا؟!!! الويل لي ولفعلتي، لم أكن أحسد ذلك اليوم لحظة دخولي إلى منزلي الذي لم يكن منزلي على أنني أخي، وأنا لست بأخي، وأنا لا أعلم من هو أخي. هل تكفي معرفتي اسمي واسم امراة لإكمال علاقة ناجحة؟ وهل كانت ناجحة يا تُرى ؟ أنا أرغب ببداية جميلة، أريد امرأة بشدة، أريد معاملتها بما يشتهى من أخريات. أملك من الذكاء ما يجعلها ملكة على عرشي، أرغب أن أذهب بنبلي إلى من يستحق الإكرام كما يجب، وأتعامل كما يحق لي بعد مرارة الحياة من زوجتي. يا إلهي! هي ليست لي! أيّ نبل أتكلم عنه؟ بدأت أتسخ، أشعر أنني عند لحظة لمسها تنتقل جراثيم الخيانة إلى

شرايين يدي، وفي الوقت عينه لا أستطيع الرجوع كي لا أسجن مرتين: مرة خلف زنزانة حديدية لأعوام، ومرة في زنزانة تفكير كل مَن يعلم بفعلتي، على أنني نقيض لما اقترفت كل سنين عمري من أفعال سامية، وهنا سأقع في فخّ المحافظة. يا للسخرية! إذا عُدت سأكون كالبقرة التي حُلبت الحليب النقي، وبرفسة منها ألقته الأرض، وخطأ الشاطر بألف من أخطاء الآخرين.

رافقتني لساعات لعنة التحليلات، ما الموقف الذي ينتظرني عند دخولي؟ هل أدخل كأي رجل لا مبال لزوجته، وفي داخلي طمع مدفون لامتلاك امراة وإكرامها وإحسان معاملتها؟ المعتقدات والمبادئ والجراثيم تحارب بعضها داخل عقلي. إنني مُسيَّر الآن لم أعد مخيَّراً. عند اختياري ارتداء ملابس أخي فقط أصبحت أجاري القدر دون امتلاك القرار. بدأ امتلاكي لاختياراتي يزول عند هروبي من نفسي. كنت أحسب الأرباح الموجهة لي عند اتخاذ القرار، وأنا الآن قبل تنعمي بالمكاسب بدأت اتلقى الخسائر، لعنة الأنانية والانجرار إلى الراحة والمتعة أفقدتني حريتي سلفًا، حرية امتلاك قراري على

أبسط وجه، ها أنا أستنفد الوقت بالتفكير، لم يعد لديَّ الخيار. هيا أيّها القدرأسلمك نفسي، فلتفعل بي وتبدع ما تشاء إن خسرت أو ربحت، لطفًا بي أرجوك، سلكت الحياة بي طريق الوحل وإن تلطخت فهذا ليس بفعلي، ما عساني أن أفعل؟ ها أنا أرافق الندم قبل المضي بالخطأ، كلّ ما عليَّ الآن الدخول ودفن النقاء بدقة الجرس والتزام الصمت، واعتمادي كلامها وذكائي في تحليل الشخصيات. ولأول مرة أرى زوجتي القديمة لم أستطع إخفاء ملامح التعجب من وجهي لشدة جمالها الحزين. كنت أقول لنفسي: يا ألله أأنتِ فعلاً ملكي؟ لِمَ تبكي هاتان العينان؟ يا تُرى فعل من هذا الاحمرار المتكون في طيات جفونك؟ ماذا فعل أخي؟ إنني ألتزم الصمت. عليّ الدخول وراء صوت خافت. كانت أول كلماتها لي: ((ما بك لِمَ تقف هكذا متعجبًا، وكأنك تراني لأول مرة ؟

سارعت بالدخول ولا أعلم تفاصيل المنزل، ولا إلى أين يتجه، وقلت لها: لا شيء، لا شيء؛ إني متعب، يومي كان سيئًا جدًا، فابتسمت ابتسامة خجل القمر من

رؤيتها واختفى، وقالت: ما الجديد؟ فأنت يوميًا هكذا؟ عندما صعقت بتلك المفردات التزمت الصمت مجبرًا. هل كان أخي تعيسًا ؟ ولماذا؟ إنه يملك المال والعائلة والمنزل والتخدير الكامل بفعل المخدرات. ما وصلني من أفكار حتى الآن أنّ أخي وزوجته يتنعمان بالحزن والتعاسة وسط الفرح والسعادة. ما هو عنصر الخلل ؟ أرغب بها وبالممتلكات، شعرت أنّ الندم ذاهب إلى الجحيم، أرغب بالاستمتاع فقط، أريد امتلاك فقدان الذاكرة لكل ما حصل، لم أعد أهتم إلى كلّ من قدم ذاته ضحية كي أصل إلى ما أنا عليه. الآن أوحت لي بقوة من ضعفها لا يمكنني وصفها. تجرأت وقلت: هيا اجلسي جنبي فأنا مشتاق لك، حان دورها بالتعجب:

- ماذا قلت ؟

مدّ يده وأمسكها، ونظرإلى عينيها، ثم خرجت منه كلمات أيقظت قلبها المتعب: من الآن فصاعدًا ستلمسين بي تغيرًا جذريًا أنا اعتزمت التغيربحيث أكون شخصًا جديدًا كليًا. ستذهلين بكل شيء سنمر به، وأعدك أن يكون للأفضل، لكن أريد منك فقط نسيان

الماضي بكل حذافيره، ومجاراتي بكل ما هو جديد. هيَّا قولي لي: أتريدين هذا؟ أنا أريد وسأفعل ما أريد إلى أن أصل إلى الحياة المثالية. هل تقبلين بمجاراتي لنمضي معًا؟ إن شئت تنفيذ قراري هذا أتمنى منك إطاعتي بأمرين: الأول: أن تمحي من ذاكرتك كل ما مررنا به كان سيئًا أم جيدًا، أنا الآن إنسان. سأمارس الحياة بأدق لحظاتها بذكاء وكأنني خُلقت من جديد. سأمزق كتاب حياتي وأحرقه، وأشتري أوراقًا جديدة لأملأها بكلّ ما هو جميل، بعيدًا كل البعد عن المقارنة بين الزمنين؛ لهذا لا وقت لديَّ لإدخال أيّ تفاصيل من الماضي تلحق خربشاتها الأذى بنقاء بياض صفحاتي الفارغة. لا أعلم إن كان هذا الوقت المناسب لطلبي الثاني، ولكني مجبرعلى إخبارك به. بعد ملء حياتنا بالدفء والاستقرار عليك مجاراتي. لا أريد أن أخذل بعد الآن، لا منك ولا من غيرك، إذا بالغت في الاهتمام، بك عليك رده بالمعروف لا بالنكران. أعلم المثل القائل: " كثرة الماء تقتل الزرع".

جلست بجانبي تنظر إلى خيبتي وكأنها لا تثق بكلماتي، كأنها توجه إليّ بنظراتها سهامًا حادة تقصف

بحروفي إلى البعد الخائب على ما أنا عليه، لكنّ هذا مجرد وقت أتكلم فيه. في كل لحظة من استماعها لحديثي كانت تهز رأسها على محمل الكذب، وتجاهلت ذكاءها، ثم قاطعت حديثه ساخرة:

- ما بك أجننت أم تسخر مني بإلقاء اللوم علىَّ بالاهتمام الزائد بك؟
- توقفي أرجوك، أنا لا أهزأ بك، أنا أحبك، فقط عليك نسيان الماضي، سنذهب معًا في الغد إلى منزل أهلي، علىّ القيام بواجبي وحضور مراسم دفن أخي.
- ماذا قلت؟!! توفي أخوك؟!! كيف ومتى وأين؟ وهل عُدت إلى مكالمة أهلك؟ لم أعد أفهمك! كم أنت غريب! هل أنت قيس؟
- لا لم أعد قيس! قيس تم دفنه جوار أخيه! مَن أمامك الآن عاد إلى الحياة.
- سأخبرك شيئًا مختلفًا يتناسب مع اختلافاتك التي لا أثق بها؛ أنا الآن ممزقة، لا أجد ما يسعدني الظلم يحيط بي، ولا أرى بعينيّ سوى الظلام، ولم أعد أرغب بالنور، أقف في حداد مع جروحي، ولا أعلم متى أخرج مما أنا فيه، وأنت

من يملأ تلك الشروخ أو يزيدها تمزقًا؛ لأنني لاأملك الهروب، واليأس يتسلح في داخلي، ويهجم في كل موقف أتعرض له على لون دمي ليجعله مائلاً للسواد. سأجاريك وأذهب معك وألطم بصمت، فلتفعل ما تشاء.

الفصل التاسع

(٩)
وهم النهاية

الآن إن توقفت عن سرد إحدى مآسي تلك الفترة غير المنتهية من الزمن، ما الختام المنتظر من قبل القارئ؟ لنفترض تلك الشخصيات وما خفي وراءها وهمية. أيّ شخصية تمنيت أن تكون مكانها؟ ولو كنت مكانها فعلاً أكنت فعلت ما اقترفوه؟ أم ربّما أصلحت شيئًا أوزدت الطين بلة؟ أنا شخصيًا لا أرغب في أن أكون كالعشرينية التي وهبت نفسها إلى العدم، ولا أرغب أن أكون كقيس الذي أحرق كلّ ما حوله وأحرق نفسه طمعًا، وسعى إلى فقدان الأمان، وأكمل الخراب وكبره بسرعة فائقة، ولا أرغب أن أكون كالوالد المقسوم الظهر لفقدان أولاده وزوجته، ولم يستهوني القدير بتجاوزه لأحداث الذهاب بي إلى الجحيم، إن اخترت الطبيب أو التجأت إلى العوامل الخارجية التي أودت بنا

إلى الهلاك عن طريق السرقة. إن كان المسلوب مني مالاً، أم حُلمًا، أم أرواحًا، ولا ليث وخيانته من اختار، وكيف أصلح. أنا لست جانية ولا ضحية لا أقبل بالظلم لأحد، ولا أحُلم أن أبقى أظلم.

أطمح للراحة وإكمال العيش بهدوء، فهنيئًا لمن أتى ورحل بهدوء.

مرت أيّام الشتاء القاسية نوعًا ما، استوطن البرد النفوس، قُشعريرة البدن تلوي العقل وتحده ليصبح عبدًا للأمل في انتظار الدفء، كأننا ننتظر ساعات التقنين لمضيها دون أن يكون لنا حاجة في الكهرباء. العقل يتجمد عبر الانتظار، انتظار أيّ شيء يفتك بصحة الإنسان لينالـه، وأهلاً بشيء بعد الانتظار إن أتى ليأتي دون بهجة، كأنه يخبرنا بمجيئه في الوقت الخاطئ، وعدم احتياجنا له حينها، أي طفح الكيل بعد مرارة العذاب للوصول إليه. فما أنا فاعل إن أتى الدفء وأنعمت جسدي أخيرًا؟ هل سأعود إلى الانتظار والتفكير المريح لما سأفعل؟ أي عندما كنت أنتظر الدفء هل كنت أعيش على أمل الوصول إليه، وعند تملكه شعرت

بالضياع؟ إن تكلمت عن الأشخاص مجددًا هل لهذه النظرية ارتباط بالألم؟ خطرت لي الآن مقولة لشخص تألم حتى تخدر قائلاً: (ستبقى تسامح من تحب حتى تكرهه عن قناعة) أيعقل أن تأتي القناعة عبر فقدان الأمل؟ لنتشارك لبُرهة همومنا في حي الندم، إن قلت لك: ما همكّ في الحياة؟ ما الجواب المحتمل أن تقدمه لي؟ سأجيب عنك باعتبارك القارئ: إن كنت من الطبقة الغنية قم بتجاوز بعض الأسطر لعدم استسخاف الكلمات. همي: "أمن حالي وعيلتي من الخطر. أمن كيف لاقي شغل. كيف طور حالي. وشغلي الزواج وتكوين العيلة. أمن أكل ولادي علمن وادفع أقساط المدرسة ومستلزمات الجامعات، أمن شي لكبرتي ادفع أجار البيت، خوفي على ابني العسكري. صحة أمي وتأمين الأدوية ووووووو....

همّي كيف أقتل الملل قبل ما يقتلني، وصل لفوق وقوي علاقاتي لأكسب أكتر، لاقي دكتور تجميل شاطر يرجعني لورا كم سنة، إقنع أبي يبدلي سيارتي، آخد الورتة من إخواتي البنات لأقوى أكتر، بيع كلّ شي

وسافر، وابدا ابني على صخر. الرمل بلش يلعب تحت رجلي..

كيف رجع صحتي ..

كيف خلي ابني يرجع يحكي ...

لازم إترقى ليصير عندي حصانة ...

كيف خلّي ولادي يحبو بعض وووووو "

الهم وهمّ، الوقت عم يمضا، والكلّ عم يسعوا لحظة وصولن للهدف يلتفتوا لهدف جديد، وإذا لم يصلوا سيخدرون، وعندما يخدرون سيتوقفون عن السعي ليخلق همّ جديد.

اذهب واسلب من الحياة كل شيء نقي تستطيع السطو عليه وجلبه، كسكب الماء البارد لإطفاء لهيبك، وإياك الانتظار، فالحياة لن تعطيك ما تستحق إن كنت نائمًا، وعند النهاية تبرع بما سلبت وأخذت تغفر لك خطاياك، وأفرغ الأثقال عن كتفيك لتنعم بالرحيل الهادئ وتخليد الذكرى.

مرت أشباه تلك التفاصيل القاسية علىّ لتزيد إصراري على فعل شيء، لأبدأ رحلة من الهدوء مع ذاتي لأنهي أصوات ضجيج المدينة التي احتلت عقلي، وتفاقمت صراخًا على مرّ الأيام لابتلاء مُخيلتي بالتفكير الصائب المتعب لي، لأقوى بتلك الشروخ التي مزقت جسدي، لأملأها فخرًا لي ولمدينتي المتعبة؛ لإكمال المسيرة بذكاء وتغابٍ، هدوء وضجيج تجاوز وعرقلة اليأس والبهجة التملك والاستغناء تشابه واختلاف، فالقوة تكمن في الضعف، وإن رغبت أن تصبح قويًا مستقلاً منعمًا بالراحة لك ولمحيطك، فعليك مجاراة الوقت من فرح وحزن وإكمال، وتعلم كيفية استقبال الأشياء وأضدادها، فإن تآلفت مع نفسك هانت أمامك كل الصعاب، اصنع أنت السعادة وتمتع بها، أنت تستحق الوقت الجميل، فلا تدعه ينفد منك، وهنيئًا لك بصنعه. تعلم كيف تقلب الطاقة السلبية إلى طاقة إيجابية. حوّلْ أي موقف ضعف مررت به إلى إنتاج كبير، استغل العتمة بالتفكير الملائم لتمتلك الدافع المناسب لوقوفك على أقدامك من جديد لتنير ظلمتك.

"فيك ببساطة تصنع قراراتك"، "ولشايفوا مناسب " عند وصولك لمرحلة الرضا عن ذاتك ستلقى الراحة النفسية والصحية. "وقتا بس فيك تنتج ببراعة وإبداع" احرق أرضك واستصلحها من جديد بدورات تعليمية داخلية لذاتك، اعتبرها معادلة كل طرف يختلف عن الثاني، لكن للوصول للإجابة الصحيحة عليك بالتوازن والتكافؤ. سجل بالطرف الأول من معادلتك "أي شي يزعجك ذكرى، أو تصرف، موقف، أو خيبة شخص غريب أو روحك إنت، تعبك جهدك وقتك ضياعك اكتئابك واعتبرون المجهول". من ثم ارسم سهمًا لطريق جديد أو ممر لوصولك لطرفٍ ثاني. "معطيات صحيحة لروحك فرصة ثابتة للسعادة، والفرح، والعمل الجيد، والإبداع والتأقلم مع البشر، والمُضي في الصواب واستغلال الوقت بكل ما هو ممتع ومفيد. سلّم صفحتك وتنعّم بالنتيجة " بعدها ارحل بهدوء وطمأنينة.

الفهـــرس

الفصل الأول : سجائر غير قابلة للبيع	٧
الفصل الثاني : تمثيل النوم	١٥
الفصل الثالث :على العمر مزعلها	٢١
الفصل الرابع : الانتماء	٢٧
الفصل الخامس : قيس وليلاه	٤٣
الفصل السادس : أنياب ذئاب تائهة	٤٧
الفصل السابع : علاقات مظلمة	٦١
الفصل الثامن : دُمى متحركة (شروط قاتل)	٦٧
الفصل التاسع : وهم النهاية	٨٣

رسالتنا :

نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

biclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

book.com/arabiclibrary2017